صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

دمشق ـ ص.ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

آب ١٩٧٦

في رحاب الوطن العربي

بقلم :

رئيس التحرير

ومرة أخرى نعود الى رسائل القراء الكرام وعلى امتداد الوطن العربي لنصغي اليهم ولما يبدونه من آراء تدل على أشياء كثيرة ، تدل على قومية هؤلاء الشباب ووطنيتهم ، وعلى مدى حبهم وتقديرهم للرسالة التي حملتها مجلة الثقافة يوم نذرت نفسها لتكون صلة قربى ورحم بين الادباء العرب ولتكون نقطة انطلاق يلتقي فيها العربي بأخيه العربي مهما بعدت بينهما شقة الدار .

من بين هذه الرسائل العديد العديد يطالب أصحابها بأن تخصص في « مجلة الثقافة الشهرية » زاوية تزيد صفحاتها أو تقل ، تضم آخر تطورات كل قطر عربي في ميادين السياسة والثقافة والاقتصاد، وترصد النهضة العلمية والفنية والادبية فيه .

ولا يسعنا أمام هذه النداءات المخلصة الا أن نكون عند حسن ظن هؤلاء ممن أفعمت قلوبهم بالوطنية الصادقة والقومية الاصيلة ، ولا يسعنا الا أن نقول لهم واعتبارا من العدد القادم سيجدون ما تصبو اليه نفوسهم تحت عنوان « في رحاب الوطن العربي » ولسنا في ذلك منعمين متفضلين فذلك واجب من واجبات مجلة الثقافة التي طالما وضحت رسالتها القومية و كانت عند حسن ظن كل من طلب منها هذا الطلب الحر الكريم النبيل



جولة قومية في شعر العصر العباسي

الدكتور محمد التونجي
الاستاذ المساعد بجامعة حلب

الريشة التي لا تصور واقع الشعب وآماله لا نعد صاحبها من هذا الشعب والريشة التي لا تصطبغ بريشة دم الاحرار، ولا تعبر عن نضال الثوارهي ريشة مهترئة، يجب كسرها .

والقلم الذي لا يرسم طريق النور لابناء هـذا الجيل نعتبره قلما مفرغا من المسؤولية ، والقلم الذي لا يهب عطاءه لهذه الامة نعده قلما مترفا يجب كسره .

ومن وراء مثالية هذه الفكرة ، وروعة تلـك الصورة المشبعة بالتزامية الفن ، جرت العادة أن يدرس الادب في العصر العباسي ، على أنه أدب بعيد عن الواقع الذي كان يحياه ، ناء عن الشعب الذي انبثق أصحابه منه ، ولهذا عمد الادباء الى طمسه ، وازاحة مؤلفاته من الوجود .

ولكن الواقع الادبي الصحيح أن تصور هؤلاء الادباء الى هذا الادب تصور مشوه وبعيد جدا عن مكانة الادب . اذ متى كان الاديب الواحد يمثل عصرا كاملا؟ ومتى كان جزء من نتاجه يمثل كل ما كتب ؟

قبل أن تعمم هذه الفكرة ، وقبل أن يطمس هذا الادب العريق يجب أن نوضح نقاطا نراها مهمة في تخليص تراثنا من هذا الخضم المظلم .

لن ننسى ، ونحن ندرس هذا التراث ، أن عددا كبيرا من هؤلاء الادباء هم من غير العرب ، بل ان عددا منهم هم أعداء العرب والعروبة ، ولن ننسى كذلـك أن عددا من الادباء العرب نشؤوا في أرض غير عربية ، ورضعوا الاهمال والضغينة والتهرب من الواقع العربي .

ولن ننسى أيضا أن الادباء من هذا الشعب ، وأن في الشعب طبقة منهكة التفكير ، شاذة الاخلاق متوزعة في الآفاق .

اذا تذكرنا كل هذا ، ووضعنا في الاعتبار ألف سنة مرت سهل علينا تقييم التراث الاصيل :

فقد توقف الدراسون والمدرسون عند بشار وأبي العتاهية وأبي نواس وابن عبد القدوس وغيرهم ، وقالوا : هوذا العصر العباسي ؛ عصر الانحلال الخلقي والانحدار الادبي ، فهجوه ورجموه . لان أصحابه لم يتحسسوا واقع أمتهم ، ولا نضالها ، ولا أوضاعهـا الاجتماعية . وعلى هذا تطبع الدارسون، وهكذا أفهمونا شعر الشعراء وأدب الادباء .

ولعمري انها خاطئة ؛ اذ لم يكن بشار الا شعوبيا يكره الدم العربي الاصيل ، ومثله في الكراهية أبـو نواس ، ويزيد عنه بانحلاله الخلقي والفكري ، ومن أجله يلصقون تهمة الانحلال في واجهة العصر كله . وليس هذا ، ومن سار على دربهما ، الا صورة منحرفة لواقع حياة واسعة النطاق، لامبراطورية عريضة الآفاق.

وكذا الامر عندما يتطرقون الى دراسة الاغراض الشعرية ، فنرى الادباء لا يتوقفون الا عند المديح ، مديح الامراء والخلفاء .. ليصوروا لنا الشاعر المتكسب الذي يشحذ أفكاره ليمتص ما يستطيع امتصاصه من خزائن هؤلاء الامراء ، الذين يعيشون عيشة بعيدة عن واقع الشعب .. فيصورونهم يحيون بين أكنافهم ، ويقتاتون فضلاتهم .

لا شك أن أبا نواس موجود في ذلك العصر ، والمديح كذلك موجود .. بل غزير . وكما أن هـذا الشاعر لا يمثل عصره في الواقع ، فكذلك المديح ، لـم يكن كل شعر الشعراء . ولا شك أيضا أن هذا الجزء من الشعر له سوقه ، ولهم أجرهم عليه ، لان الشعر في ذلك العصر مهنة كأية مهنة . ومع ذلك فاننا اذا قلبنا الدواوين والمجموعات الشعرية (على عيبها في اختيار النصوص المناسبة للقصر فقط) وجدنا فيها الكثير من شعر الواقع والالم والوجدان مما قاله الشاعر لنفسه ولشعبه : ومن دون أجر . وهذا هو الجزء الذي يجب أن نتوقف عنده ، ونحث تلامذتنا على مطالعته ، ونبش كنوزه واحيائه .

من هذا المنطلق ، علينا أن ننظر الى الادب في العصر العباسي نظرة متفائلةوضاءة تبعث الأملوالخير.

والادباء اليوم يدرسون ما ذكرنا ، ويسكتون عما يهمنا ؛ عما يربطنا بادبنا على أنه من هذه الارض الطيبة . ويبتعدون عن كل موقف جليل ومشهد مثير . واذا ما علقت بانظارهم قطعة انسانية ، أو لوحة تصور زاوية من حياة الشعب ، أو قصيدة نضالية قالوا : أما هذه فمما قالوه بعيدا عن واقع المجتمع في هذا العصر.

حتى انهم حينما يتكلمون عن المتنبي يضعون نصب أعينهم تشويه فنه ، بابراز معالـم المديـح والهجاء فقط .. ويسكتون عن الباقي . كلا بل يقولون : ان الادب في العصر العباسي كانفي منأى عن حاجات أمته العربية ، وفي منأى عن الشعب ؛ وكل ما حفظ لدينا كان أغراضا تافهة وذات أسباب مادية .

وتشرب شبابنا هذا التعميم ، وساروا مـع السائرين في هذا التصميم ، وغدا شعار المدرسينوالادباء والدارسين البحث عن القشور من بينالنفائس،والجواهر المزيفة ، مهملين الجواهر النادرة التي يمكن أن تحلي نحور أدبنا اليوم ، وتجعلنا نفتخر بما ورثنا . واذا كان ما عنيناه قليلا بالنسبة الى المديح والغزل والهجاء، فلن ننسى أن الدرر الثمينة أقلوجودا فيالبحار منالدرر العادية والرخيصة ، وأن الباحثين عنها أقل عددا .

واذا وضعنا بين أيدينا انتاج شعر هذا العصر ، وبحثنا فيه بحث الناقد المخلص الذي يسعى الى خير أمته ورفع مستوى أدبها ، مراعين النقاط المهمة الانفـة الذكر ، واذا فرزنا الاغراض مع مراعاة نوعيـة الاشخاص ، وأخذنا بعين الاعتبار المؤلفين الذيـن لا يجمعون في كتبهم الا بما يرضي أصحاب القصر ، وجدنا أننا ظلمنا شعراءنا وغمطناهم حقهم ، وأضعنا على أنفسنا وعلى تلامذتنا لذة ومتعة وفخرا وكنزا لـو طال أمر نقادنا لاضاعوا من نفائسنا الكثير ، ولذنا أظلم على أدبنا الثمين من المغول الجائرين ..

نحن لا نريد بهذا أن نجرح من ذوقية النقاد ، ولا أن نتطاول على ما تلمسوه ولكننا نريد أن نوضح بعض اللمسات التي لم تطلها الايدي، أو التي اعتبروها سمات خاصة أو شاذة لا تمس جوهر الموضوع .

صحيح أن أبا تمام مدح الخلفاء والامراء حتـى غرق في المدح ، وأمضى زمنا في تمجيدهم ، ولكن لماذا لا نتوقف عند لوحة بطولية من لوحاته العديدة ونخصها بالعناية ؟ لماذا لا نعتبر قصيدته « وصف عموريـة » واسطة عقد ديوانه ؟ بل لم لا نغير عنوانها ؟

فلقد هزت النخوة المعتصم ، وغار على شعبه الذي عاث العدو في أرضه ، وهاله أن يدنس أرضه غاصب ، فحمل حملته الشهيرة ، وكذب الخائفين من الحرب ، وأقدم اقدام البطل الذي لا يرهب . وكان أبو تمام معه ، فانتشى هذا الشاعر بما رأى من روعة نصر القائد للعروبة . فصور هذه المعركة الضارية التي استعاد فيها الجيش العربي واقعهم ومكانتهم ، ورسم لنا لوحة معردة منتصرة رفعت لواء العرب خفاقا حتى يعد حدود العرب . وأفهمنا بهذه القصيدة أن قائده أعطى للعدو درسا لن ينسوه . وما أحلى ما بدأ به أبو تمام اذ قال :

السيف أصدق انبـاء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وانظر الى هذه الصورة النضالية لقائد الجيش ، وتستطيع تخيل هذا القائد بالصورة المظفرة التي تعرفها اليوم :

لـم يغز قوما ولـم ينهض الى بلد
الا تقدمـه جيش من الرعب
لو لـم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا
ـ من نفسه وحدها ـ في جحفل لجب
لبيت صوتا زبطريـا هرقت لـه
كأس الكرى ورضاب الخرد العرب
أجبته معلنا بالسيف منصلتـا
ولو أجبت بغير السيف لم تجب

والمتنبي ، علم الشعراء بلا منازع ، الذي وصفه الناس أنه الباحث عن المجد وعن المال ، لم يخل من تقريعهم ، مع أنه خص ثلث شعره فيكل ما يخص بطل الابطال وحامي الثغور ، سيف الدولة .

لقد كان هم المتنبي وهو يحيا في حلب أن يشجع الجيش العربي المجاهد ، وأن يصور معاركه الفائـزة

ضد البيزنطيين الذين كانوا يطمعون في احتلال جزء عزيز من وطننا العربي ان شعره في هذه الحقبة ملحمة نضالية نعتز بها .. بل لولاها لما عرفنا اكثر مواقف سيف الدولة المنتصرة . ومن أبرز المشاهد الظافرة مديته عن قلعة الحدث ، يقول منها :

هل الحدث الحمراء تعرف لونهـا
وتعلم أي الساقيين الغمائم؟
سقتها الغمائم الغر قبل نزولـه
فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا يقرع القنا
وموج المنايا حولها متلاطم
ودان بها مثل الجنون فاصبحت
ومن جثث القتلى عليها تمائم

ولا يقل أبو فراس – مع أنه أمير وابن أمير – عنه وطنية وغيرة على أرضه ، كما لايقل عنه تصوير مشاهد النصر في الشعر .

ولهذا فاننا نجد المتنبي وأبا فراس صورتين للنضال العربي ، ومجدا لتراثنا ، وعربونا لوطنية كم كنا نتمنى على كبار شعرائنا اليوم أن يصوروا لنا وبنفس المقدرة نصرة أمتنا في حروبها الاخيرة ، وفي ثباتها في معارك المصير ، ولم يستجب الى هذا الظفر المقدس الا شباب عكفوا على نظم الشعر الحديث .

ولعلنا ان درسنا المتنبي من هذه الوجهة نكون قد أزحنا ستارا عن الادب العربي ، عده الغريضون في مدى عن حاجات الشعب . مع أن النضال في هذه الحقبة بالذات شغل العرب الشاغل ، وماأحلى صور النضال..!
بل ما أروع سيف الدولة وهو على فرسه يصول ويجول، وسيفه الباتر في يده ، يجندل به الاعداء ويهزمهم .. ولم نجد مؤرخا لم يصادق (ولم يعتمد) على قول المتنبي ، ولا على مشاهداته الواقعية لفدائية الرجال آنذاك .

بل انه تضايق عندما رحل الى بلاد فارس ، ولم يجد فيها من يتكلم العربية . فعبر (وبصراحة) عن أسفه لوجوده بين أعاجم لا يفقهون ، ولا يقدرون على التعبير . قال كلمته المشهورة وهو في حضرة أمير فارس، بكل جرأة ودون تخاذل ولا تذلف :

مغاني الشعب طيبا في المغـاني
بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربي فيها
غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها
سليمان لسار بترجمان

أهذا أيضا بعيد عن حاجات الشعب ؟..

ولننتقل الى الشعراء الذين عاصروا الحروب الصليبية . ووقفوا الى جانب القواد الذين حققوا النصر على الغزاة . ألم يتفاعل هؤلاء الشعراء مع العصر ؟ ألم يكونوا لسان الواقع للشعب الذي كان يعاني الخذلان في بادىء الامر ؟ وعندما اتحدت مصر مع الشام بكل صدق واخلاص وعم النصر ، واستعيدت القدس السليب .. ألم يصدق الشعراء في قولهم ؟ ألم يعبروا عن بهجة الشعب في وحدته وفي نصره ؟ ألم يبشروه بطلائع النصر ؟

لم يكن الرغيف آنئذ شغل الناس الشاغل ، بل كان همهم أن يروا قائدهم وقد وقف وقفة جبارة أمام جحافل دول الغرب الطامعة في أمن العرب وخيرات بلادهم ، وهم يطأون مقدساتنا .. ليوحد الصفوف ويطردهم شر طردة .

قال أبو الفتح سعادة الضرير الحمصي من قصيدة في تهنئة السلطان بالنصر على الصلبيين :

وقدت الى الاعداء جيشا عرمرما
اذا أبرقت فيه الصوارم أرعدا
خميسا كسوت الجو ثوبا ممسكا
به كسوت الارض ثوبا موردا
فلم تبق للطغيان شملا مجمعا
ولم تبق للايمان شملا مبددا

وهذا أسامة بن المنقذ الشاعر الفارس البطل . ألم يكن الصورة المثلى لكل فارس عربي؟ ولكل انسان يفدي أرضه سورية وفلسطينه الحبيبة بدمائه في سبيل نصرها ورفعتها ؟ اسمعه وهو يفخر ببطولة العرب ، ويحض عرب الشام ومصر على الاتحاد لمجابهة العدو المشترك المغتصب :

فنحن على ما قد عهدت نروعهم
ونحلف جهدا أننا لا نسالم
وغاراتنا ليست تفتر عنهم
وليس ينحي القوم منها الهزائم

حتى الشعراء في عصر الهجوم المغولي ؛ عصر الكبت والطغيان لم يسكتوا ولم يستكينوا ، ولم يكونوا أقل من الشعب حمية ، بل بكوا الاوطان المدمرة، وبكوا الشقاق والفساد اللذين ساعدا على نصر المغول، ثم ما لبثوا أن صرخوا صرختهم المدوية لجمع الصفوف والثبات في وجه الغزاة ، ونجحت خطط النصر ، فأثنى الشعراء على القواد الظافرين . قال الشاعر محمد البزاز المنبجي يصف هزيمة المغول في معركة الصفر الشهيرة :

ان البغاة بني خاقان أقدمهم
وعلى هلاكهم الطغيان والاشر
راموا ، وقد حشدوا غلبا فما غلبوا
وحاولوا النصر تضليلا فمانصروا
يا وقعة المرج ، مرج الصفر افتخرت
بك الوقائع في الآفاق والعصر

وعندما انتصر العرب في سورية ومصر على المغول، وطردوهم الى غير رجعة ، ألم يكن الشعراء صادقين ومعبرين عن أماني أمتهم حينما أشادوا بوحدة كلمتها ونصرها وطردها المستعمر الغاشم الذي لم يعرف القهر الا على أرض الشام ٠٠ ؟

واذا شهر بعض الشعراء بأنهم كانوا سدنة للقصور ودعاة لحكامها ، فقد عرف غيرهم بعداوتهم لهذه الطبقة الحاكمة ، وخاصة اذا كانت جائرة عاتية ٠ فهذا ابن عنين ينتقد وضع الحكام في بلاده :

قد أصبح الرزق ما له سبب
في الناس الا البغاء والكذب
سلطاننا أعرج وكاتبه
ذو عمش ، والوزير منحدب
وصاحب الامر خلقه شرس
وعارض الجيش داؤه عجب

حتى بشار صرخ صرخة مدوية في وجه العباسيين الذين فقدوا هيبتهم ، ونسوا واجبهم :

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفة الله بين الزق والعود

ويتأزم الامر بالشعب أيام المتوكل ، ويضيق الشعراء ذرعا بما يرونه من بذخ ، وما يسمعونه عن ليالي القصور ، فينهد الشعراء واصفين ، وينبرون ناقدين ٠ وهذا ابن البعيث يلتهب ثورة لما يجري في قصور الخلافة من مجون ، فيقول :

لهف نفسي على قصور ببغدا
د وما حوته من كل عاص
وخمور هناك تشرب جهرا
ورجال على المعاصي حراص
لست بابن الفواطم الزهر ان لم
أقحم الخيل بين تلك العراص

ويتألم أبو منصور الكاتب من وضع حكام بلاده فقال يصفهم ، وهو يعرف خفاياهم لانه كان من كتابهم: «كبيرها متورط في الجهالة،وصغيرها متمخط في الضلالة ٠ أفضلهم عيي ، وأغفلهم غبي ، وأعفهم سارق ، وأسدهم مارق » ٠

ومن القضايا الوطنية المعاصرة التي تشغل اهتمام المسؤولين في الوطن العربي هجرة العقول ورحيل أصحاب الخبرات ٠ وقد حصل مثل هذا في العصر العباسي ، اذ هاجر عدد غير قليل من بلادهم لاكثر من سبب ٠ فقال ابن عنين يصف وأقع هؤلاء وعذابهم في هجرتهم ، فقال:

غريب اذا ما حل مصرا أبى له
وشيك النوى الا ارتحالا الى مصر
فحتام لا أنفك في ظهر سبسب
أهجر أو في بطن داوية قفر ؟
أشتاق قلب الشرق حتى كأنني
أفتش في سودائه عن سنا الفجر

وحب الوطن لصيق فؤاد كل من نشأ في أرض العرب ، والحديث عن عشقه كثير في أدبنا ٠ ومن ألطف هذه الصور ما قاله ابن الرومي معللا ارتباطه بالارض مهما أصابته العلل :

ولي وطن آليت ألا أبيعه
وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة
كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم
مآرب قضاها الرجال هنالكا

لا يظنن القارىء أن الشعراء كتبوا في النضال فقط ، بل ما كان النضال الا جزء مما قالوه ، فهناك الواقع الاجتماعي أيضا ، اذ لم يسكتوا عنه ٠ بل ما قلناه عن تصوير واقع الشعب من الناحية القومية نقوله عن واقعهم الاجتماعي ٠ فالشاعر الذي خلق من الشعب لن تنسيه الدنانير شعبه مهما كثرت ، ولن تسلخه عن واقعه مهما برقت ٠ صحيح أنه دخل القصر ، ومدح من فيه ، ولكنه سرعان ما كان يعود الى الشعب عند منصرفه ، وفي أيام غياب أميره ٠ بل ما كل شاعر كان يميل الى التزلف والتمسح على عتبات القصور ٠

فقد صور عدد منهم نواحي عديدة من واقعهم وآلامهم ، ووضعوا أيديهم على كثير من أمراض عصرهم، وحثوا المسؤولين على تفاديها والتخلص منها ٠ ولا يقلون – في نظري على الاقل – عن شعراء العصر الحديث، بل يزيدون ، اذا تذكرنا تلك النقاط التي استعرضناها في مطلع حديثنا ، واذا لم يغب عن بالنا تلك السنون الطويلة ، ولأنهم كانوا مضطرين الى ارضاء الحاكم ، ليتمكنوا من العيش ، وبعد أن كانوا يطمئنون على مورد رزقهم من مهنتهم ، يصورون واقعهم الاجتماعي ٠

وقد ذخرت كتب الادب، ودواوين الشعراء بافانين من الصور الشعبية التي عرضت بقالب فكاهي آنـا ، وآنا بقالب النقد ، وأحيانا بقالب المتالم الغيور . ولا يتسع المجال لاستعراض شتى النواحي التي انتقدوهـا وتلمسوها . ولنبدأ بابن الرومي. ولكن قبل أن نتحدث عن احدى قصائد ابن الرومي أريد مثالا أو رساما ، يقف مع هذا الشاعر ، وينطق هذه القصيدة بلوحـة فنية رائعة لحمال أعمى عفيف ، أبت عليه نخوته مد يده الكريمة الى الناس ليرموا له بعض الدراهم يعيش بها . أبت عليه نخوته الا أن يكسب بعرق جبينه ، وبعضلات زنوده ما يكفيه قوتا ، فاشتغل حمالا يحمل على رأسه الحمل ، ويطلب من صاحب الحمل أن يقوده الى حيث يريد نقل حمله .

بالله ، أين منكم هذه الصورة ؟ من من الشعراء اليوم صور مثل هذا المشهد ؟ أقال هذه القصيدة ليكسب من الامير الدنانير ؟ أم لان قلبه تقطر دما أسى عليه ؟ وأكبر فيه هذه النخوة وهذه العفة ؟ قال :

رأيت حمالا مبـين العمى
يعثر في الاكم وفي الوهـد
محتمـلا ثقـلا عـلى رأسه
تضعف عنـه قوة الجلـد
والبائس المسكين مستسلم
أذل للمكـروه من عبـد
وما اشتهى ذلـك ، ولكنـه
فـر من اللؤم الى الجهـد

والشكوى من الفقر وقلة العمل من الامور التي اعتنى بها الشعراء العباسيون . وقد سبقهم الى الحديث عنها الشعراء الصعاليك ، وعدد من شعراء بني أمية ، أو من الشعراء المخضرمين للدولتين . وأغلب من تظلم وجاهر بشكواه ، الشعراء الذين اضطهدوا وأملقوا . ومن هؤلاء أبو العطاء السندي ، فقد أكثر الحديث عن ترك الخمول ، والسعي في سبيل لقمة العيش ، مهما كلف المرء من العناء ومن الاسفار ، من ذلك قوله :

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه
شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الادنين كلا وأوشكت
صلات ذوي القربى له أن تنكرا
وما يدرك الحاجات من حيث تبتغى
من الناس ، الا من أجد وشمرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى
تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

ولا ترض من عيش بدون ولا تنم
وكيف ينام الليل من كان معسرا؟

ويصف أبو الفتوح المحسن ما عاناه هو وشعبه من غلاء الاسعار ، فقال منتقدا :

دق عظمي عن الدقيق ، وشعري
صار كالقطن من غلاء الشعير

بل انه جاهر النقد في وجه الوزير اسماعيل بن عباد الذي يحيا حياة البذخ ، بينما شعبه في شظف العيش :

مراكب مولانا ، وأنتـم أعزة ،
سمان ، وما عز الشعير لديكم
ونحن عجاف هدنا السير والخوى
ولا يستوي منا القياس لديكم
فان كنتم منا فسيروا بسيرنـا
والا وقفنا ، والسلام عليكـم

واذا شكا بعض الشعراء من جور الاصدقاء وسوء معاملتهم ، ومن تقصيرهم في حق الصداقة ، فان آخرين شكوا من ظلم الاهل واحتقارهم لشبابهم المبدعين ، والى هذا أشار ابو جعفر المختار بقوله :

ما للاقارب آذتني عقاربهـم
وعيروني الحجا والعلم والفطنا !
اذا أساءت ذوو القربى مجاورتي
كنت الغريب ، وان لم أهجر الوطنا

ونسمع من أفواه الشعراء الكثير من الاقوال في الحث على المؤاخاة ورفض البغضاء ، والكثير من تجارب الحياة والشكوى من الزمان ، ومن مناجاة الشيب ، وفي رثاء آل البيت على الرغم من ملاحقة المجاهرين منهم، والشوق الى اعطاء الحق الى أهله ، والحث على الافتخار بما يؤديه الانسان بنفسه ، لا بما يرثه عن أسلافـه، وكذلك النفثات الحبيسة التي يرسلها الشعراء مطالبين بالحرية الشخصية .. الى غير ذلك من المواضيع التي تمس جوهر الحياة الاجتماعية .

بعد هذه الصور القومية الثائرة الصادقـة ، وهذه الصرخات الاجتماعية المصلحة ، ألا يشفع للادب العربي في العصر العباسي بنظرة جديدة فيها الكثير من التفاؤل ؟ ألا يصح بعد هذا أن نوجه طلابنا الى ذلك النبع الثر ، ونربطهم بتراثهم الثمين ، من هذه الوجهة على الاقل ؟ ألا نستطيع أن نكون أرحم على أدبنا القديم من المغول العاثثين بمقدرات الحضارة ؟ اذا تحققت لنا هذه المرحلة المتفائلة الصادقة ، ألا نعتبر الطاعنين بهذا التراث مغولا أو مهدمين ؟

قصة الملحمة في النقد العربي

• سمر روحي الفيصل •

قصة وجود الملحمة في الادب العربي تقارب قضية وجود القصة من وجوه كثيرة ، فقد شاع بين النقاد أن أدبنا خال من الملاحم ، كما شاع بينهم من قبل خلوه من القصة (يقصدون : القصة الفنية ، لا الحكاية) ، حتى غدت قضية الملحمة قصة تعاور على تأليفها فريقان من المؤرخين والشعراء والنقاد ٠

لا نريد التحدث عن قضية الملحمة من حيث هي ملحمة ، انما نود التعرض لها من جانبها النقدي ، فنحن نظن أن هناك خطأ ساهم النقاد فيه ، هو مقارنتهم الادب العربي بالاجنبي من حيث الصياغة دون المضمون٠ فعلوا ذلك في الملحمة والقصة والشعر ، فقارنوا وجودهم في الادب العربي بمثيله في الادب الغربي، وبنوا على مقدماتهم هذه نتائج أقرب الى الخطأ ٠ وما دام حديثنا عن الملحمة وحدها فلننظر دور النقد فيها ٠

اعتبر النقاد الياذة هوميروس ـ الشاعر اليوناني ـ أصل الملاحم ، والمنبع الاول لها ٠ وقد توفروا على دراسة هذا الاصل دراسة دقيقة ، وخرجوا من ذلك بصفات ثلاث هي سمات الملحمة عموما ، وهي :

١ ـ الطول والموضوعية ٠

٢ ـ اطلاق العنان للخيال (الاساطير ـ اشتراك الآلهة مع البشر ٠٠٠) ٠

٣ ـ الحديث عن الحروب ٠

لقد اتخذ بعض النقاد العرب هذه الصفات أصلا انطلقوا منه الى الادب العربي ، فلم يجدوا فيه صفات الالياذة جميعها ، فنفوا عنه وجود الملحمة ٠ وقد أغفلوا في عملهم ودعواهم مقارنة مضمون الالياذة مع مضامين عربية شبيهة ٠

هذه بداية القضية في النقد العربي ، أو هي بداية القصة التي اشترك فيها الى جانب النقاد مؤرخون وشعراء ، انتصر كل فريق لمذهبه وراح يلتمس له مسوغات منطقية ٠

ـ ١ ـ

رجع المؤرخون الى دفاترهم فالتمسوا صلة بين أدب اليونان وأدب العرب ، بل اكتشفوا أن البيئة اليونانية قد تأثرت بما وصلها عن العرب ، فقد هاجرت قبيلة « كلدة » الى العراق ، وكانت أصل الحضارة البابلية التي نشأت فيها ملحمة « جلجاميش » ٠ وهذه الحضارة انتقلت بدورها الى آسية الصغرى والجزر القريبة منها، فنشأت حلقة اتصال بين بابل واليونان ، حيث تلاقحت العقلية اليونانية بالبابلية ٠ وها هنا راح فريق من النقاد يدرس التشابه بين ملحمة جلجاميش التي أنشأها البابليون والياذة هوميروس ، فوجدوا أن هوميروس الذي أنشأ الياذته في آسية الصغرى (ازمير) قد تأثر بالحضارة البابلية، التي هي عربية أصلا، واذن فقد عرف الذي أنشأ الياذته في آسية الصغرى (ازمير) ٠ قد تأثر الحضارة البابلية ، التي هي غربية أصلا ، واذن فقد عرف العرب الملحمة ، وهم أهلوها الاولون ٠

لقد استطاع هؤلاء النقاد احكام الحلقات التالية، فذكروا أن الشعر الجاهلي لم يصلنا كله، وان الجاهلي لم يكن على مثل علاقة اليوناني بأوثانه ، وان الاسلام ينفي اشتراك الالهة مع البشر في حروبهم ، بل ليست عنده آلهة متعددة كما هي عند اليونان ٠٠٠

أليست هذه قصة محكمة النسج من ناحية ، ومهلهلة من ناحية ثانية ؟!! أليست هذه القصة دليلا على أن النقاد العرب ينظرون الى صياغة الالياذة دون جوهرها ، ويلتمسون لهذه الصياغة شبيها عند العرب؟!!

هناك فريق ثان من النقاد أقرب الى الاعتدال • انه ينفي وجود الملحمة في الادب العربي ، لان العرب قبل الاسلام كانوا قد « وصلوا في قرارة أنفسهم الى معرفة خالق للوجود فآمنوا به ، وان حاولوا أن يصلوا اليه أحيانا عن طريق الاوثان ، فذلك لانهم لم يكونوا قد وصلوا الى ذلك النضج العقلي التام » • واذن فلا مكان لتعدد الآلهة ، ولا مكان بالتالي للخيال الذي يضيف الى جبروتهم الالهي انسانية تميز الخير من الشر، وتساعد الاول على الثاني • ويرى هؤلاء النقاد أن الحديث عن الحروب والموضوعية فيه كانا موجودين في الشعر العربي اضافة الى تصويره الحياة الاجتماعية تصويرا دقيقا •

كان لهذا الفريق من النقاد مؤرخوه الذين ساندوه ، فقالوا ان أحدا لم يستطع الجزم بأن العرب في جاهليتهم لم ينشئوا شعرا دينيا يتحدثون فيه عن الالهة برغم كونهم أقرب الى الوحدانية ، ويدعمون أقوالهم بما ذكره ابن الكلبي في كتاب « الاصنام » من أن الرواة في العصر الاسلامي كانوا يتحرجون في رواية ما ينافي العقيدة الاسلامية ، بل لجؤوا الى ابادة هذا الشعر الوثني ، ويصدق على هؤلاء قول أبي عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب في جاهليتها الا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » •

يخلص هذا الفريق من النقاد الى أن شعر العرب في الحديث عن الحروب وقصصها وأبطالها كقصائد عنترة ، ودريد بن الصمة ، ومهلهل بن ربيعة، والحارث بن عباد ، وغيرهم ، كل ذلك وأشباهه ينبغي أن يعد من الملاحم • ويرى هذا الفريق أن تطبيق الصفات الخاصة باشتراك الآلهة في الحروب لا يكاد ينطبق الا على الياذة هوميروس وحدها •

هناك فريق ثالث لا يخالف الفريق الثاني كثيرا لانه يدين بمعظم آرائه ، غير أنه يرى أن قصائد الحرب الجاهلية هي ملحمات عربية لانها تعبر عن احساس شخصي ، وحالة نفسية خاصة ، والابطال في هذا الشعر هم منشؤوه أنفسهم • فأنت اذا قرأت قصيدة لاحدهم ، أو حتى للشعراء الذين أتوا بعدهم كالاخطل وجرير والفرزدق ، فانك ترى العرب في البادية ، وتسمعهم يتحدثون ، وتحس حياتهم كما تحس نفسك دون أدنى تغيير ، وقد تكون تعبيراتهم قصصية ، غير أن أشعارهم في الاعم الاغلب ليست طويلة كما هي في الالياذة ، ولعل السبب في ذلك كون قصائدهم تراجم ذاتية لاصحابها أو لقبائلهم •

ـ ٢ ـ

هذه هي أهم آراء النقاد في قصة الملحمة ، وهي تتلخص في أنهم وجدوا في الادب الغربي ملحمة فراحوا يبحثون عن شكل آخر مشابه في الادب العربي ، فلما وجدوا الصفات الست غير مجتمعة في قصيدة عربية ، نفوا عن هذا الادب وجود الملحمة فيه ، أو هم التمسوا لذلك مسوغات أخرى ، فوصل بعضهم الى وجود الملحمة /جلجامش/ والى تأثر هوميروس بها ، وعللوا سبب عدم اطلاق العنان للخيال بعدم تعدد الالهة عند العرب، وعللوا قصر القصائد بكونها ذاتية ، بينما وجدوا في الشعر العربي الخصيصتين الاخريين : الموضوعية والحديث عن الحروب •

ـ ٣ ـ

نقف الان لنتساءل : أليس الحديث عن ضروب الملحمة على هذا النحو هو حديث عن الصياغة ؟ ألم يتفق النقاد أن خصيصتي المضمون في الملحمة (الموضوعية والحديث عن الحروب) متوفرتان في الشعر العربي ، بينما نفوا وجود الطول وتعدد الآلهة (واطلاق الخيال بعضها) وهما أخص خصائص الصياغة في الملحمة الهوميروسية ؟!! •••

أظن أن هذه النظرة الشكلية الى الملحمة قد امتد تاثيرها الى الشعر الملحمي خاصة والشعر عامة عند النقاد العرب ، فنظروا الى وجود القافية في الشعر العربي واعتبروها عائقا دون طول القصائد ، كما أنهم نظروا ـ بعد ـ الى شكل الشعر الغربي فتناقلوه وهم يعلمون علم اليقين أن الخطأ في مقارنة الشكلين لا المضمونين •

اذا كانت الغاية مقارنة الشعر الاجنبي بالشعر العربي فلا حاجة بنا الى الشكل ، لان لكل أمة مذاهبها الادبية وطرائقها الفنية الاسلوبية في التعبير ، بل ان المقارنة لا تكون عادة في الشكل بل في المضمون •

هل كانت هذه النظرة الشكلية هي التي دفعت الشاعر أحمد محرم الى تاليف الياذته الاسلامية ، والبارودي الى تأليف كشف الغمة في مدح سيد الامة ، وغيرهما كشوقي في أرجوزة العرب الكبرى ، ومحمود محمد صادق في الحرب المقدسة ، وكامل أمين في السموات السبع ، واليعربي محمد توفيق في المعلقة الاسلامية ، وبولس سلامة في عيد الغدير ؟!!••• قد يكون الامر على هذه الصورة ، بيد أننا نطمح الى وجود ملحمة عربية لا تدفع اشتراك مجموعة من الشعراء العرب في تأليفها •

سمر روحي الفيصل ـ حمص

الحضرية وانعكاس العاطفة

في شعر عمر بن أبي ربيعة

محمد يوسف أيوب

تعاريف قصيرة

ولد عمر بن أبي ربيعة يوم توفي عمر بن الخطاب فقال الناس فيما بعد : « أي حق رفع ، وأي باطل وضع !؟ » معنى ذلك أنه ولد سنة ٢٣ هـ حيث توفي في هذه السنة ، عمر رضي الله عنه .

والده قرشي ثري ، كان اسمه في الجاهلية «بحير» فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « عبد الله » واستعمله على الجند وظل عليه حتى قتل عمر . وقيل : ان عثمان قد استعمله عليه أيضا . وكان تاجرا موسرا له عبيد كثر من الحبشة يتصرفون في جميع المهن . وقد لقب « بالعدل » لانه كان يكسو الكعبة عاما وتكسوها قريش عاما .

أما أمه فاسمها « مجد » وقد سبيت من حضرموت أو من خمير في بلاد اليمن . ومن هناك أتاه الغزل فقيل : « غزل يمان ، ودل حجازي » .

كان عمر جميلا جدا ، توفي والده وهو في الثانية عشرة من عمره ، فقامت أمه على تربيته ، ويقولون : ان أمه قامت على تربيته ، منذ صغره ، لان والده كان في اليمن على الجند . فعاش عمر في كنف أمه ، وفي ظل الحياة الجديدة للمجتمع المكي الذي تحضر تحضرا واسعا ، فاجتمع لعمر ، الفراغ ، والجمال ، والغنى . وقد كانت مكة في عصره أشبه بالمسرح الكبير للغناء ، فكان عمر يرافق المغنين ، ويقرب منهم : ابن سريج والغريض ، ويلزمهما ، فلا تشاهده الا مع واحد منهما يجزل لهما العطاء على غنائهما لقصائده ، ويشكل معهما ما يشبه الجوقة .

أما المرأة المكية ، فقد تقدمت وتحضرت ، وبرزت للرجال . فكان عمر يختلط معها في كل مكان : عند أمه في البيت ، ومع المغنين ، وفي خلوات خاصة نتيجة موعد مسبق . ويقولون : انه تنسك عندما كبر ، وحلف على أن يعتق عبدا على كل بيت شعر يقوله . وكانت وفاته سنة « ٩٣ » لان أبا الفرج الاصفهاني ذكر أنه عاش سبعين سنة أو جاوزها . وقد وضعت قصص كثيرة حول وفاته منها : انه غزا في البحر ومات ، ومنها أن امرأة دعت عليه لانه تغزل بها . وكل هذه القصص لا تثبت للواقع فهي من نسج الخيال .

انعكاس العاطفة :

لقد تعودنا من العاشق المحب ، أن يصف لنا ما يعانيه من تباريح الجوى ، وحرقة اللوعة ، رصد ، وهجر الاحبة ، وعن حياته التي يعيشها ، فالدنيا على الرغم من كبرها وسعتها ضيقة عليه . ولكن هل نجد مثل هذا عند شاعرنا عمر بن أبي ربيعة ؟ لا أظن ذلك لان عمر نغمة جديدة في قيثار الشعر العربي ، له صفاته وميزاته الخاصة ، ونحن في ديوانه نقف أمام ظاهرة جديدة جديرة بالاهتمام ألا وهي ، ظاهرة انعكاس العاطفة ، وتحول الغزل من الرجل الى المرأة . فهي في ديوان عمر ، العاشقة الطالبة للرجل ، بدلا من كونها عند الشعراء الاخرين المعشوقة والمطلوبة .

ان عمر كالنحلة التي لا تقف على زهرة واحدة ، بل هي في تنقل مستمر ، تمتص رحيق كل الزهور . كذلك عمر لا يقف عند امرأة واحدة ، فهن كثيرات حوله ، وكل واحدة تريد أن تحظى بجلسة معه ، لذلك فانهن يرسلن له الرسل عاتبات على قلة الزيارة :

أرسلت هند الينا رسولا
عاتبا أن ما لنا لا نراكا ؟

وكذلك فانهن يتصدين له في طوافه في الحج ، ويغمزنه عامدات متعمدات ، ليفسدن حجه وطوافه ، ولكنه يتركهن ولا يأبه لافعالهن ، وهن ماضيات في اللحاق به :

قالت لترب لها ملاطفة
لتفسدن الطواف في عمر

قالت : تصدي له ليبصرنا
ثم اغمزيه يا أخت في خفر

قالت لها : قد غمزته فأبى
ثم اسبطرت تسعى على أثري

وفي مجالس النساء يدور اسمه على الشفاه ، كلهن يتحدثن عنه ، ويتمنين أن يأتي ليزين المجلس ، ويشيع فيه الحبور ، ليكحلن المآقي بحسنه وجماله :

قد خلونا فتمنين بنا
اذ خلونا اليوم نبدي ما نسر

فعرفن الشوق في مقلتها
وحباب الشوق يبديه النظر

قلن يسترضينها : منيتنا
ولو أتانا اليوم في سر عمر

ويأتين اليه ، دون سابق موعد ، ودون علم منه ، فلا يشعر الا وهن يقفن أمامه ، فينتبه ويسأل عن السر ، فيجد الجواب فورا ، وهو أنه قد جشمهن كل هذا الخطر والتعب ، لان حبه ليس منه فكاك ، فهو قدر محتوم :

فقلت : من ذا المحيي ؟ وانتبهت له
أم من محدثنا هذا الذي زارا ؟

قالت : محب رماه الحب آونة
وهيجته دواعي الحب اذ جارا

ولكنه في أغلب الاحيان ، لا يوافق على الزيارة ، فلا يجد منهن الا الدموع تسكب من العيون ، وينظرن اليه نظرات ملأى بطلب الرحمة ، فهو دائما يعيش في قلوبهن وعقولهن ، وهذا الجارح لكل العقول والقلوب ، لذلك فعليه أن يصبر على من كان سبب شقائه وبلوائه :

تقول وعينها تذري دموعا
لها نسق على الخدين تجري

ألست أقر من يمشي لعيني
وأنت الهم في الدنيا وذكري ؟

أمن سخط علي صددت عني ؟
حملت جنازتي وشهدت قبري !

ان عمر أمنية تتمناها كل فتاة ، فهو أمل الآمل ، ورغبة المتمني،فلو اجتمع الناس جميعا في كفة واحدة ، وهو في الكفة الاخرى ، لرجحت كفته في قلوب النساء ، ولو خيرت احداهن لاختارت هذا المغيري ، الذي هامت القلوب بحبه وحسنه وجماله :

قد حلفت ليلة الصورين جاهدة
وما على المرء الا الصبر مجتهدا

لتربها ولأخرى من مناصفها
لقد وجدت به فوق الذي وجدا

لو جمع الناس ثم اختير صفوتهم
شخصا من الناس لم أعدل به أحدا

وعلى الرغم من كل ذلك ، فهو يهجر الحسناوات، دون سبب ، ودون اقتراف أي ذنب ، بل هجر وصد ، من أجل ارواء هذا الظمأ الى الزهو والاختيال والاعجاب بالنفس :

ما ضراري نفسي بهجره من ليـ
ـس مسيئا ولا بعيدا نواه

دون أن يعلـــم المعاذيـــر مني
أو يرى عاتبـــا فعندي رضاه

أما ان وافق احداهن على الخروج معها ، فهـو خائف وجل ، مترقب للعيون والمراصد ، وهي تسير معه دون خوف أو وجل :

عجبا لموقفهـــا وموقفنـــا
وبسمع تربيهـا تراجعنـــا
ومقالهـــا : سر ليلـــة معنـا
نعهـد ، فان البين فاجعنـــا
قلت : العيون كثيرة معكـــم
وأظن أن الســـر ما نعنـــا

وهو ان سار معها ، أو جلس واياها في احدى الجلسات ، يجعلها تقسم له أغلظ الايمان ، أن لاتتكلم باسمه ، وأن لا تفشي سره ، حتى لا يعلم أحد من الناس بالذي بينها وبينه :

ألم تعلمي ما كنت آليت فيكـم
وأقسمت لاتحكين ذاكرة باسمي؟!

أما عندما تعلم صاحبة من صويحباته الكثر بأنه قد تزوج ، فانها تتظاهر بعدم المبالاة ، ولكنها تبوح لمن معها بأن زواج هذا الرجل ، قد جعل قلبها وكأنه ليس منها ، وان سماعها لهذا النبأ المفجع ، قد جعل عظامها تتكسر ، وجسمها يفتر :

خبروهـــا بـأنني قـــد تزوجت
فظلت تكاتـــم الغيظ ســـرا
ثـم قالت لاختهـــا ولاخــرى
جزعـــا : ليتـــه تزوج عشرا
وأشارت الى نساء لديهـــا
لا تـــرى دونهن للسر سترا
ما لقلبي كأنـــه ليس مني ؟ !
وعظامي اخال فيهـن فترا !!

نخرج من ذلك كله ، الى أن ابن أبي ربيعة قد خرج عن الخط المألوف لدى شعراء الغزل ، وكون مدرسة فريدة فيه « ربما رشحه للسبق في هذه الصناعة ، جانب أنثوي في طبعه يظهر للقارىء من أبياته التي تنم عن ولع بكلمات النساء ، واستمتاع بروايتها ، والابداء والاعادة فيها ، مما لا يستمرئه الرجل امصوم الرجولة ٠٠٠ ولعل جانب الانوثة فيه لا يظهر في شيء كما يظهر من تدليل اسمه ، بين تلقيب وكناية وتسمية ، كما يعهد في أحاديث النساء ، فهو تارة أبو الخطاب ، وتارة أبو المغيري ، وتارة عمر الذي لا يخفى كما لا يخفى القمر ، وأشباه هذه الانثويات التي يقارب بها المرأة في المزاج ، ويسايرها في الحديث ٠٠٠ »

هذا تفسير العقاد ، لهذا الجانب من شعر عمر٠ ولكن الدكتور شكري فيصل له رأي آخر حيث يقول : « ٠٠٠ فقد انعكست الحياة السياسية في الشام في ظل ما ، وفي الحجاز في ظل آخر ، وهو صدى لها ، ولكنه صدى ينبعث من جوف مغاير ٠٠

فعمر كان صورة أخرى للسياسة التي أهملتـه ، وانه حين فاته أن يكون عبد الملك في الشام ، وأن تكون له سيطرته ، فلم تفته أن تكون له على هؤلاء النسوة ، مثل تلك السيطرة التي يحلم بها ٠٠٠ ان امارته لم تكن على سرير الملك في دمشق ، وفي ظل راية الحرب ٠ ولكنما كانت على سرير الحب ، في هـذا الطرف أو ذاك من الارض ، وبعيدا عن ولاة صواحبه ، لذلك ليس عجيبا أن تضج له أفئدة صواحبه بالدعاء ، على مثال ما تضج أفئدة الرعية بالدعاء للسلطان ٠٠ »

الحضريـــة :

ان غزل عمر غزل حضري ، فهو لم يقلد شعراء الجاهلية ، بل أتانا بشعر غزلي نابع من صميم الحضارة والترف ، وللحضرية في شعر عمر مظاهر أهمها :

أ ـ النساء المترفات :

« ٠٠٠ فلم يتفق لعمر أن شبب مرة بامرأة فقيرة ، كما يتفق لمن يشغل بالمرأة لانها امرأة ، أو لانها من جنس الاناث ، ولكنـــه كان يحرص على ذكر الخدم والحشم ، وآثار النعمة والترف ، وكأنه مطالب باثبات الغنى واليسر لمن يتغزل بهن » ٠

وهو لم يتغزل الا بذوات الحسب والنسب ، ومن النساء اللواتي تغزل بهن عمر ، سكينة بنت الحسين ، زينب الجمحية ، الثريا بنت علي بن الاصغر ، رملة الخزاعية ٠٠٠ وغيرهن وكل هؤلاء النسوة من علية القوم ، لا نجد بينهن أمرأة واحدة من منشأ طبقي فقير٠

ب ـ وصف المحاسن :

ونتبين آثار الحضارة في وصفه لمحاسن محبوباته اللواتي يتغزل بهن ، حيث تتبدى لنا الحضرية ، بأكمل وأجلى مظاهرها ، فهن مترفات جدا ، حيث لو مشى الذر فوق أجسادهن ، لبقيت من سيره على تلك الاجساد آثار واضحة المعالم :

لو دب ذر فوق ضاحي جلدها
لابان من آثارهن حدور

وهن كذلك يتبعن بالخدم والحشم ، أينما ذهبن ، فهذه احدى صويحبات عمر تقول لمن معها بكل غنج ودلال : خذن عني الظل ... وتسير نحو خيمتها مختالة مزهوة . وهذه نغمة جديدة في حضرية عمر :

ولقد قالت لاتراب لها
كالمها يلعبن في حجرتها :
خذن عني الظل لا يتبعني
ومضت تسعى الى قبتها
لم يصبها نكد فيما مضى
ظبية تختال في مشيتها

وفي وصفه للقبلة التي يأخذها من شفاه المحبوبة ، يصف لنا ريقها ، وطعمه اللذيذ ، ويحشر في وصفه جميع أنواع العطور ، ويرصفها رصفا دون تهذيب ، بحيث لو جمعت لشكلت مكانا لبيع العطور . وهو يكثر من وصف القبل بحيث لا نجد قصيدة من قصائد الديوان الا وفيها احدى القبل من فم المحبوبة .

تشفي الضجيع ببارد ذي رونق
لو كان في غلس الظلام أنارا
فسقتك بشرة عنبرا وقرنفلا
والزنجبيل وخلط ذاك عقارا
والذوب من عسل الشراة كأنما
غصب الامير تبيعه المشتارا
وكأن نطفه بارد وطبر ذدا
ومدامة قد عتقت أعصارا
يروى به الظمآن حين يشوفه
لذ المقبل باردا مخمارا

ومحبوبات عمر يرفلن بالديباج والدمقس والحرير، يتحلين بالزبرجد والياقوت والحلي الثمينة ، وهو يكثر عند وصفه لمحبوباته من هذه الاشياء :

يرفلن في مطرفات السوس آونة
وفي العتيق من الديباج والقصب
ترى عليهن حلى الدر متسقا
مع الزبرجد والياقوت كالشهب

وحبيبته مكسال وبدينة توشك أن تعجز عن الحركة لضخامتها ، وتنام حتى الضحي ، وهي لا تقوم باعمال الاماء من رعي بالبهم وغيرها ... كل هذه الامور تجعلنا نحكم على غزل عمر بانه غزل حضري بكل معنى الكلمة .

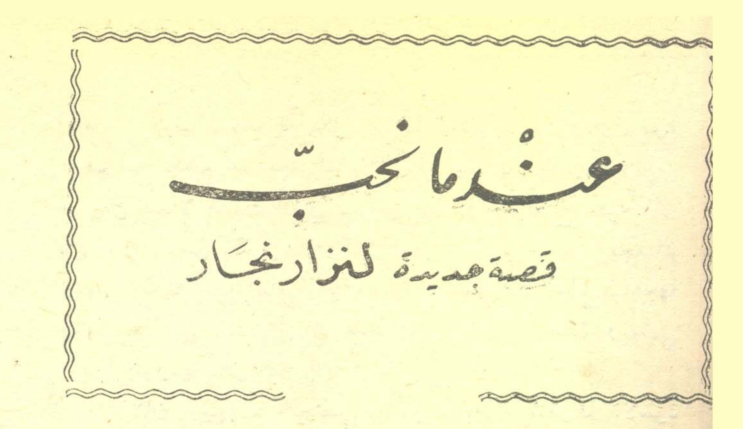
جـ ـ المقدمات الطللية :

ان عمر لا يستخدم الاطلال كاستخدام الجاهليين لها ، فهو أبعد ما يكون عن التقليد الاعمى ، فالاماكن تنبع من واقع عمر المحسوس الملموس ، لذلك فاننا نجد أن أطلاله يغرد فيها الحمام ، وتمرح فيها الظباء :

درجت عليه العاصفات فقد عفت
آياته الا ثلاث جثم
أدم الظباء به تراعي خلفة
وسخالها في رسمه تتبغم
وثنى صبابة قلبه بعد البلى
ورقاء ظلت في الغصون ترنم
غردت على فنن فأسعد شجوها
ورق يجبن كما ا ستجاب المآتم

فهذه أطلال حضرية ، لا نجد فيها أثرا للخراب والدمار ، فعمر لم يقلد مقدمات الجاهليين الطللية ، بل أظهر لنا نفسه الانسانية على سجيتها دون تقليد أو تزييف ... فكانت هذه المقدمة الطللية الرائعة .

وأخيرا فاننا نجد أن عمر قد شكل مدرسة جديدة فريدة في الغزل ، حيث خصص كل شعره لهذا الفن الجميل الرائع ، وخالف الشعراء الذين كانوا قبله ، حيث جعل المرأة هي العاشقة للرجل بدلا من كونها عند الاخرين هي المعشوقة المطلوبة . وكأن غزله حضري نابع من واقعه الذي يعيشه ، فمحبوباته يرفلن بالديباج والذهب ، ولا يقمن بأعمال الاماء ، وهن من علية القوم . وأطلاله أطلال حضرية تخالف أطلال الجاهليين المقفرة الموحشة ، لذلك نستطيع أن نقول ان عمر كون مدرسة في الغزل لها سماتها وخصائصها التي لم يسبقه اليها أحد من قبله .



حين نقلت أمه إليه أن يتهيأ للزيارة ؛ طار قلبه من الفرح ..شعر بأن هذه الساعات القليلة القادمة سيكون لها طعم خاص بالنسبة إليه،فالزيارة لم تكن متوقعة،ولكنه كان يترقبها بنفس قلقة ، وقلب نابض بألف نداء .. كان يتلهف لها وإن لم يظهر ذلك أمام أمه أو إحدى أخواته ..

كانت هذه الزيارة تهمّه وحده .. ثم لماذا يداري الحقيقة فيغطي أشواقه المتعاظمة على نحو لم يألفه في نفسه من قبل .. حتى أمّه كانت تدرك بإحساسها الذي لا يخيب أنه سيسر حقاً لهذه الزيارة ... بل إنّ أخواته يعلّقن شيئاً ما على نجاحها .. أوليس هو الأخ الكبير – والوحيد– الذي يرفعن به رؤوسهن أمام الصديقات والجارات ... أوليس هو الأمل الكبير حقاً بالنسبة إليهن كلما خطر لهن خاطر .. أو مرّ ببالهن شيء هام ..

على أنه كان وحده الذي يستطيع أن يدرك ذلك كله فهو بأهوائه التي يحاول إخفاءها جاهداً ، وبطبعه الوثاب يدفع الآمال الصاخبة في صدره إلى دنيا عريضة عريضة .. مرسومة بالظلال الجميلة .. وملونة بالورد والاماني الحلوة

وعندما قالت له أمه : أسرع بارتداء ملابسك ؛كان قلبه هذه المرة – يثب بين ضلوعه جذلان نشوان ..

وقف أمام المرآة ليطمئن على هيئته، وجدها على مايرام ورأى نفسه وراء العينين والملامح موفور العافية..

فتح درج الكومودينو وأخرج فرشاة ناعمة ، أزال بها طبقة الغبار الرقيقة التي تكسو حذاءه ، وأعاد تلميعه بقطعة من الصوف ، ووضع الفرشاة وقطعة الصوف في مكانهما من الكومودينو ، .. وأغلقه .. دبت في مشاعره ، تلك اللحظة ، احساسات سعيدة ..

وللمرة الثالثة سمع أمه من خارج الحجرة تناديه فأحس بالترف والدفء والنعومة ، وحين وقف أمامها أفسحت له الطريق وهي تنظر إليه نظرة معاتبة ، ولكنها تحمل له حبّها المؤكد ، وقالت : – تفضل .. أمامي

في الطريق كان كل شيء يبهجه .. هذا الشارع الصغير الصاخب ، الذي امتلأ بصيحات الصغار ونداءات الباعة المتجولين ، وهذه البيوت الهزيلة المتلاصقة كأنها تلوذ ببعضها .. أحسّ بأنه يودّ لو يقبل الأشياء جميعها .. لو يضم أيضاً إليه أمه ..الآن .. ..وفي هذا الشارع ، أمام الناس .. والأشياء ..

كانت الشمس الدافئة تحمل إليه أكثر من رجاء .. الحديقة الصغيرة هناك تضج بالصغار الملاعين الذين ، يقفزون بين ممراتها .. وفوق مرجها الاخضر اللامع .. يسقطون هنا .. وينهضون هناك ، كأنما غشيتهم حالة من الطرب ، أو مستهم سعادة غامرة لايعرفون من أين هبطت عليهم في هذا النهار الرائع ..

تنهد من الأعماق ، وغمغم بينه وبين نفسه : إنني أقترب من مواطن الهناءة والامان .. هاهنا يرسو القلب ، ويلقي بأشرعته المكدودة التي هزّها الريح زمنا طويلا . ان قدمي تنشطان بي على نحو غريب .. كأنني أستعجل الزمن ..

.. حقا ان الزمن يفر من بين أيدينا – فلماذا لا نسرق منه لحظات الهناءة الحقيقة .. لماذا لانستلب منه أفراحنا وسعادتنا .. « ياأغاريد الزهور والفرح .. أحفظ عن ظهر قلب كل الدقائق المنسية ، تلك التي مرت بي منذ شهرين .. أستحضر الوجوه الحلوة التي حضرتها الأيام في قلبي المترع الحار .. أجمع صور الاحبة ، الململم أطراف الاحلام . أنسج منها قصص العشق والغزل .. والاماني الوردية ..»

كانت أمه إلى جانبه تحادثه ، وهو شارد .. كأنه لايحبّ أن يشعر إلاّ بوحدته .. وتفرّده .. كأنه يريد أن يستأثر بالسعادة وحده .. لا يشاركه فيها أحد .. ولكن !! صحيح إن أمه تهمس له بشيء .. كانت قد توقفت –الآن– ، نظرت إليه على نحو يعرف فيه أنها قد ضبطته في اللحظة الحاسمة .. فتلعثم لسانه ، بينما اندفعت توصيه بالكلمات المناسبة .. وخاصة أثناء مجالسة هذا المريض .. ولأول مرة عرف أنه ابتعد حقاً بخياله عن هذه الحقيقة .. إن الهدف الكبير من مجيئة إذن أن يعود المريض ولكن.. لا .. لاغير صحيح أنه جاء من أجل المريض .. بل من أجل .. نعم .. نعم .. من أجل ذلك فقط .. يعلم الله أنه لم يغفل لحظة واحدة عن نفسه .. كأنما كل شيء قد توقف من حوله .. كأنما – فجأة – فقدت الزيارة طعمها حين ذكّرته « أمه » بالمريض ! ..

وما الذي يهمّه من ذلك كله .. ألا يستطيع أن يصطبر قليلاً ليعرف كل شيء ..

وضحك من خواطره عندما وصل إلى هذه النقطة ..

وامتدت يده تضغط على جرس الباب

كان يحس بأن هناك شيئاً ما بدأ يغادره .. يهرب

منه ٠٠ على الرغم من أنه حاول أن يضبط بعض أحاسيسه ولكنه لم يستطع ٠٠ شعر بأن حركاته قد تغيرت ٠٠ حتى صوته ٠٠ أحس بأنه غير قادر على أن يرتفع به إلى مسامعه بحث عنه ٠٠ فتش عن الكلمات المناسبة ٠٠ لم يجد فيها ما يسعفه في هذه اللحظة الحرجة ،، فترك كل شيء ياخذ مجراه وبقي هو هكذا ينتظر ! ٠٠

ولكن الانتظار لم يكن طويلاً ، حتى إنه لم يترك له مجالاً يستجمع فيه شتات نفسه المتسربة في أغوار خيالاته واوهامه ٠٠ فقد فتح الباب وأطل وجه امرأة نصف ٠ وحين التقت العيون انفرجت الأسارير ٠٠ وانطلقت الأصوات بعدئذ ترحب بالقادمين ٠٠ أما هو فقد كان مسلوب الإرادة تماما ٠٠ كذلك الغريق الذي ترك نفسه وسط لجة الامواه تأخذه أنى تشاء ، بعد أن عرف أن أطواق النجاة ستنجده في اللحظة الحرجة ٠٠ ثم لماذا يشغل نفسه بانتظار الدقائق المقبلة مادام يعرف سلفا بأن كل شيء من حوله سيمد إليه يد المعونة ٠٠ في الوقت المناسب ٠٠٠

وحده اتجه الى الغرفة (الجوانية)حيث رقد المريض بينما تركته أمه لتنضم الى جمع النسوة هناك في الغرفة الأخرى ٠٠

حين دفع الباب كان المريض المستلقي في صدر الغرفة مفتوح العينين ٠٠ فتقدم نحوه وهو يتمتم بالتحية ٠٠٠ وبصعوبة بالغة رد المريض عليه وقد أشرقت قسمات وجهه بفرحة حقيقية ٠٠ فكأنما قد وجد أخيرا من يأنس اليه ويسري عنه أوجاعه وآلامه ٠٠

كان السرير يئن كلما حاول المريض أن يتحرك قليلا ٠٠ وكان أنينه يبعث في نفسه كآبة لاحد لها ٠ ترى هل يخيب أمله اذن من وراء هذه الزيارة ٠ « لو كنت أعلم حقاً أنني سأكون هنا لاعتذرت ٠٠ ولكن ٠٠ لنترك كل شيء يسير على هواه ٠ »

لحظات مشوبة بالقلق الخفي كانت تمر به ، بينما هو ينقل نظره بين المريض والسرير ٠٠ وسقف الغرفة ٠٠ والأشياء المبعثرة هناك كانت الأصوات خارج الغرفة تصل إليه متداخلة متباينة ، وقد حاول أكثر من مرة أن يلتقط نبراتها لعله يصل في النهاية إلى قرار أخير بأن « الزيارة » ستكون كما صور له خياله ورسمت له أوهامه ٠٠

وعلى غير انتظار ٠٠ أحس برعشة قوية تهزه هزاً ٠٠٠ وشعر بقلبه يقفز تماماً في صدره بينما صعد الدم حاراً إلى وجهه ٠٠ وانفتح الباب وأطلت عليه ٠٠ ثبتت عينيها فيه ٠ وتأملته ثم اندفعت إليه تسلم ٠٠ تبتسم ٠٠ ٠

والتقت الأيدي ٠٠ وسرى بينهما شيء أكثر من كلمات الترحيب الحارة شيء أكثر من التفاهم ٠٠ أكثر من الرجاء والأمل ٠٠ والتوسل ٠٠٠ شيء لم يعرف كيف كانت تبادله إياه ٠٠ كيف تمنحه له بكل بساطة وعفوية ٠٠ ولأول مرة عرف أن الكلام غير مجد أمام إشراقة جمالها الآسر ٠ ولكنه لم يكن جمالا كذلك الذي نقيس فيه أو نتواضع عليه كان من نوع خاص متميز ٠٠ كان فيه شيء يجذب ٠٠ يجعلك تحس بأنك حقاً أمام الحياة الحلوة العريضة أمام مباهجها ومفاتنها التي تتغلغل في طيّاتها بشائر السعادة وأماني الحب الوردية الرائعة ٠٠

كان وجهها الحنطي ملموما بهالة شعرها الاسود المسترسل على كتفيها بدعة واطمئنان ٠٠ هفت نفسه إلى أن يمرغ وجهه بين ثناياه ٠٠ يشتم منه أريجها المثير ٠٠ كانت ترتدي قميصاً ذارسوم منمنة وردية وقد أبرز مفاتنها على نحو أخاذ ٠٠ خشي فيه على يده أن تمتد إليها تستقرىء جزءاً من هذا الجسد الموار المتاجج ٠٠

ومرت لحظة ٠٠لحظة واحدة فقط نسي فيها كل شيء حوله ٠٠نسي المريض والسرير ٠٠ نسي الغرفة بأشيائها المبعثرة ٠٠ نسي نفسه تماماً وأحس بأنه أصبح في عالم آخر اخر لا يمت الى الزمان والمكان بصلة ٠٠ ولا يرتبط فيه بسبب ٠٠

« حقاً إننا ننسى أنفسنا في لحظات الهناءة على نحو يصبح فيه من الصعب تذكرها في النهاية ٠ أوليست هذه الحياة ـ التي تشملنا بما يستشير كوامننا ـ مذهلة ٠٠وإن الإنسان وحده لضائع في هذا المتاه الغريب٠٠ وإنها لسعادة لا يدانيها شيء اذا ما عرفنا حقا كيف نحسن استذكارها »٠

كل شيء من حوله رائع ٠٠ غاية في الروعة ٠أصبح هكذا فجأة كأنه لاينتمي ألا إلى ما يسعده ويفتح في وجهه ألف باب وباب لدنيا من الاماني والاحلام العذبة ٠٠ لم يكن يحلم بها من قبل ٠٠٠

بدأ السرير يئن من تحت المريض ٠٠ فأفاق من شروده ، وارتعش كأنه استرد وعيه ٠٠ تحسس بقدميه أرض الغرفة فعرف أنه مازال فوق مقعده أمام المريض والسرير ٠٠ أمام أشياء الغرفة المبعثرة ٠٠ ولكن ٠٠ هذه الأشياء كلها لم تعد تشعره با لكآبة ٠٠ كان كل شيء في مكانه وقد بدت الظلال في الغرفة رائعة ، كأنما روح خفية منطلقة سكنت هذه الأشياء من حوله أو أنها قد استعادت الحياة من جديد ٠٠٠

حقاً لقد أضفت على جو الغرفة شيئاً يشبه السحر أدركه هو بحسه العميق ،،، فانطلق يحادث المريض الذي غفل عنه فترة ليست قصيرة ٠ دار حديث عادي حول الوظيفة والمهن الحرة والحياة التي أصبحت معقدة عسيرة ٠٠ ثم تغيرت دفة الحوار فانحصرت بينه وبينها ٠٠ وكأنما المريض المستلقي هناك قد أخذته غفوة ٠٠ فانصرف كل منهما إلى الأخر ٠٠

كانت العيون تفيض بالهيام، وتفصح بألف حديث من أحاديث الأشواق والحنين ٠٠ اشتكى كل منهما للآخر بنظرات لوعة الفراق، وبعد التزوار ٠٠ وانطلقا معاً في دنيا جديدة لا يعكرها سوى الاصوات التي تصل اليهما من وراء باب الغرفة ٠٠

كان حديثهما نجوى، وكانت نظراتهما عناقاً ،،، وكأنما المسافة التي تفصلهما قد احترقت على غير توقع ٠٠ وأصبحا معاً هكذا ٠٠ حواراً وتفاهماً ٠٠ منحا وعطاءً ٠٠ شعر بأنه قريب منها يستمع إليها بكل جوارحه ٠٠ بينما هي تحادثه دون كلفة ٠٠ لم يكن بينهما شيء مصطنع ٠٠ انطلق كل منهما على طبيعته، وتنقلا معاً من حديث الى آخر ٠٠ كان هو يديم النظر حينما يأتي دورها في الحديث والاجابة ٠٠ يصغي إليها مشدودا بسمعه بينما نظراته تتابع كل شيء ٠ حركتها ٠٠ ابتسامتها ٠٠ تألق عينها إشراق وجهها ٠٠٠ وكانت هي بدورها تحتضن صورته أمامها بينما هو يحاورها لم يعرف كيف انقضى الوقت بسرعة ٠٠ تناهى إليه صوت أمه وقد أذنت بانتهاء الزيارة، وشيعته بنظراتها إلى الباب لم يجرء عندما أصبح في الطريق أن يسترق النظر وراءه، ربما تكون هي الأخرى عند الباب تنتظر أن يغيبه الطريق أمامها ٠٠ فقط اكتفى بأن بدأ يشرح لأمه حالة المريض ٠٠ الذي تذكره أخيرا ٠٠ جدا ٠٠ في البيت استقبلته أخواته وعلى شفاههن أكثر من سؤال ٠٠ وهو على الرغم من أنه حاول أن يداري شعوره الحقيقي، فقد أدركن بغريزتهن أنه عاد بوجه غير الذي خرج فيه ٠٠

تناثرت الاسئلة من حوله صاخبة ضاحكة ولكنه كان يجهد نفسه في أخفاء حقيقة أحاسيسه ٠٠ وأخيرا اندفع إلى حجرته فاراً بعواطفه، هارباً بأحلامه الجديدة الهنيئة ٠٠ و ٠٠ ساد البيت سكون عميق ٠٠

مر النهار سريعا وبدأت ظلمة المساء ترين على البيت مؤذنة بانصرام يوم الإجازة القصيرة ٠٠

وحين وقف في الحجرة يهيء حقيبة السفر أحس بأنه سيفارق هذه الأشياء من حوله على نحو مؤلم ٠٠

شعر بالحنين يجتاحه دفعة واحدة ٠٠ أحقاً انقضى كل شيء هكذا سريعاً ٠٠ لم يكد يلتقط أنفاسه ٠٠ لم يكد يعيد النظر في شؤونه بعد ٠٠ على كل حال لابدّ مما ليس منه بدّ ٠٠٠

انصرف إلى أشيائه الصغيرة يرتبها في حقيبة شاردا محزوناً ٠٠٠ هذه أول مرة يشعر فيها بمرارة الفراق ٠٠ كم مرة غادر البيت ٠٠ كم مرة ترك كل شيء هنا والابتسامة العريضة ملء وجهه ٠٠ ولكن ماذا دهاه اليوم ٠٠ يحس بانه يقتلع نفسه اقتلاعاً ٠٠ يشعر بأنه سيفارق البيت إلى الأبد ٠٠

ترى أزيارته تلك قد غيرّت طبعه إلى هذا الحدّ ٠٠ ما أصعب أن نفارق من نحبّ في الوقت الذي يتألق فيه الحبّ ما أقسى الفراق وما أشقه على نفس المحب ٠٠

ظلمة المساء تنسحب فوق الأشياء ٠٠ والساعة اللعينة تحثّ عقاربها لتشير إلى الثامنة ٠٠

لهف قلبي على هذا اليوم كيف تصرم سريعاً هكذا ٠٠ لم أعد أستطيع حقا تذكر لحظات السعادة والهناءة كأنني نسيت كل شيء ٠٠ كل شيء ٠٠

عندما تناهت إليه أصوات أخواته وأمه من الحجرة الأخرى شعر بالحزن ٠٠ كأنما انفتحت جراح خفية في صدره تحامل على نفسه وعاد يرتب أشياءه الصغيرة في حقيبة السفر ٠ كانت أخته الصغرى تتواثب أمام الباب، يشرق وجهها بالحنين تعاظم شوقه إلى لثمها ٠٠ الى لثم كل شيء حوله، كانه يودعه للمرة الأخيرة ٠٠ ما أشق هذه اللحظات على نفسه المتأججة ٠٠ كأن هناك أثقالاً تشده ٠٠ تهيب به أن يبقى ٠

« ترى متى أستطيع أن أحسّ براحة القلب الحقيقة متى يمكنني أن أستريح حقاً من هذا العناء ٠٠ »

وقف أمام باب الحجرة ٠٠ كانت أمه وأخواته ينتظرنه ٠٠ ألقى بكلمات الوداع، واتجه وحيدا كأنما يجرّ نفسه جرّاً ٠٠ التقطت أذناه دعوات أمه وهتاف أخواته فشعر كأن سكيناً تنغرس في ظهره، بينما هو قد أصبح وسط الطريق المعتم ٠٠

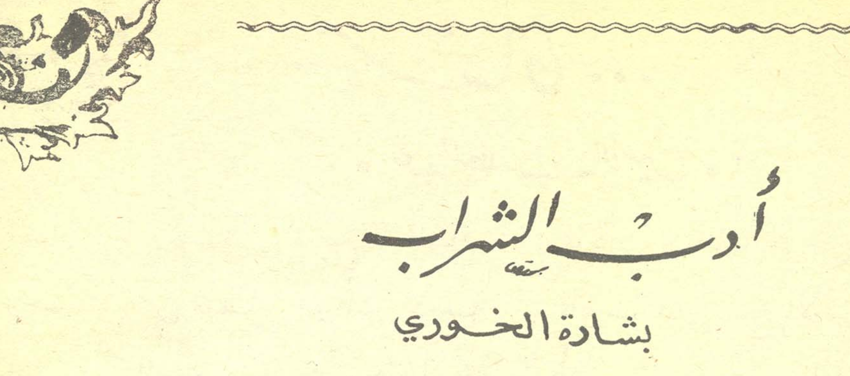
لم يعد يسمع شيئاً ٠٠ كان السكون يلف كل شيء فقط كان وقع خطواته المتتالي هو الذي يسليه في وحشة هذا الطريق المعتم الكئيب ٠٠

في الوقت الذي كانت فيه السيارة تنهب الطريق بدأت الخواطر تزدحم في رأسه ٠٠

لا يدري لماذا يشعر بالكآبة على هذا النحو ٠٠ أحس بأنه قد سافر هذه المرة حقاً سفراً صعباً ٠٠ ترك قلبه وراءه هكذا صار انسانا اخر ٠٠ لم يعد يدفعه الامل الاكيد ليشعره فعلاً بهدف العمل هناك ٠٠ وهدف الحياة ٠٠ صار لكل شيء عنده طعم خاص ٠٠ ضاعت ٠ أخيلته وأمانيه هكذا في زحمة الاشياء ٠٠ وأصبح هنا وحيدا ٠٠ منفردا في زمن موحش كئيب ٠٠

ولأول مرة شعر بأن عمره محمول على قطار الحزن ٠٠٠ وأن المحطات ٠٠ كل المحطات كانت هاربة ٠٠ لا تلوى على شيء ٠٠ ولكنه أخيرا ٠٠ أخيرا جدا ٠٠ اكتشف أنه لم يذق طعم الحب الحقيقي من قبل ٠٠ فانزوى في مقعده كئيباً ٠٠ وبينما أطبق الليل وراء نافذة السيارة ـ على الأشياء شعر بالحذر يسري إليه ٠٠ وبأنه متعب ٠٠ غاية التعب ٠٠ فأغمض عينيه ٠٠ ثم ٠٠ لم يعد يحس بشيء ٠٠ أي شيء ٠٠

حماة / نزار نجار



أدب الشراب

بشارة الخوري

فتن الجمال وثورة الاقداح ... صبغت أساطير الهوى بجراحي

ولد الهوى والخمر ليلة مولدى ... وسيحملان معي على ألواحي

يا ذابح العنقود خضب كفه ... بدمائه بوركت من سفاح

أنا لست أرضي للندامى أن أرى ... كسل الهوى وتثاؤب الاقداح

أدب الشراب اذا المدامة عربدت ... في كأسها أن لا تكون الصاحي

● ★ ●

هل لي الى تلك المناهل رجعة ... فلقد سئمت الماء غير قراح

رجعى يعود بي الزمان كأمسه ... صهباء صارخة وليل ضاح

أشتف روحهما وأعطي مثلها ... روحا وأسلم ليلتي لصباحي

روح كما انحطم الغدير على الصفا ... شعبا ، مشعبة الى أرواح

للحب أكثرها وبعض كثيرها ... لرقى الجمال وبعضها للراح

● ● ●

أنا لا أشيع بالدموع صبابتي ... لكن ألف جناحها بجناحي

غذيتها بدم الشباب وطيبه ... وهرقت في لهواتها أفراحي

الفان في صيف الهوى وخريفه ... عزا على غير الزمان الماحي

دعني وما زرع الزمان بمفرقي ... ما كنت أدفن في الثلوج صداحي

من كان من دنياه ينفض راحه ... فأنا على دنياى أقبض راحي

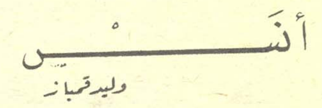
اني أفدى كل شمس أصيلة ... حذر المغيب بألف شمس صباح

نيسان...

• عبد المطلب الأمين •

نيسان يا وجـه الربيع السافر ... عوذت حسنك من شجون الشاعر
وحبست عن نعماء طرفك دمعة ... فاضت على شح الاسى من ناظري
حسب الحياة تبرجا وتدللا ... أن تستحم بعطرك المتناثر
ناجيتهـا عريانـة مقرورة ... خجلى تنهنه عريهـا بغرائر
مالت عليـك كغادة مصدورة ... نفثت دمـا متع الجمال الساحر
لم تبق حشرجة الشتاء بصدرها ... الا سراب تعلة من صابر
تهفو الى الحب الضعيف ودونه ... أعياء منهوك وكبوة عاثر
رويت بالحمى ظمـاء عروقها ... ونفحتهـا **بدم الشباب الفائر**
ومحوت بالنسمات صفرة وجهها ... فزهـا يشع بناضر وبزاهر
ووهبت نهديها الحياة عنيفة ... فعلا براعمهـا ملامح ثائر
وسكبت في الثغر الذليل وفي اللمى ... نهم الشحيح وكبرياء الصاغر
وخلقت من وهن الضنى اسطورة ... للحسن والامل الشهي الناضر
عادت فتاتك فتنة مجلوة ... ترنو الى الدنيا بنظرة ساخر
وزهت بآلاء الفتون وبالحلى ... والعاشقين وبالدلال الآسر
نفرت مليحتك الملول وانما ... شغف المولـه بالحبيب النافر
أولعت بالحسناء بعد دلالها ... ويل الكرامة من دلال العاهر
كفرت بأنعمك الحسان وأعرضت ... كم نعمة مسخت بقلب الكافر
أيار مد الى لآلئ صدرها ... اشراك عربيد وكف مغامر
أغرى المليحة واستبد بقلبها ... ورضيت من دنياك صفقة خاسر
وأنيل بالحب الاثيم لبانه ... عزت على نيل الغرام الطاهر

نيسان لـم تغمض عـلى حلم الهوى جفنا ولـم تنعم بنجوى سامر
مر الهوى في جانحيك كرعشة مسحورة خفقت بجانـح طائـر
لا الأمس متع من وشيك نوالهـا بالمؤنسات ولا وجوم الحاضر
لـم تبق من كأس الوصال تعلـة تقوى عـلى ظلم الحبيب الهاجر
نيسان يا طيفـا تلالأ وانطوى ومضى وفي شفتيه لهفة حائر
ما أنت أول مغرم عصفت بـه كف النوى فهوى بطعنـة غادر
مر الشباب كما مررت على الهوى عجلان شدوه المنى والخاطـر
عشق الحياة كمـا عشقت ملولـة تغرى وتعصم حسنها بمخاطـر
سكرت بأنداء الشباب وظلـه واستمتعت منـه بلمحـة عابـر
وتلاقيا فمباسم لـم تبتهـج بمباسم ومحاجـر بمحاجـر
ولبانـة ظلت كـأفيـاء المنى ظمأى الى الظـل العنيف الكاسر
ذكرى التلاقي في محرق بيدها تخضل بـين عواطر وزواهـر
أتمر أعراس الحياة ولم تصب من غنمها الضافي بزاد مسافر؟
لا كان اقحام الشباب وعزمـه ان لـم تكلله بغار الظافـر
وهزيمـة الحرمان ما منيت بهـا أحـلام مقدام وعـزم مخـاطـر
قف يا شباب عـلى ينابيع المنى وانهل فما يحلو الظما للصادر
العيش يزخر بالاطايب والحلى فانشر شراعك بالخضم الزاخر
بادر حياتك فاقتنص آلاءهـا فالحظ لا يعنو لغـير مبادر
كف العلى ما صافحت مستسلما وشفاههـا ما هلهلت للصاغـر
لا تنكروا في الدمع غصة شاعر رمز التمرد في دموع الشاعـر



أنس

وليد قمباز

« وعدنا الى الوطن ‥ وأطل أنس ، ولكن دفقات الشعر غارت واختفت ‥‥ ولم تسجح بجناحها الا بعد عام ونيف فكان هذا الاعتذار ‥‥ » .

عفوا بني ‥ تأخرت كلماتي … يا أنس روحي يا ربيع حياتي

يا مغدقا ألقى البراءة والندى … في واحة الاحساس والخطرات

مذ أشرقت في أفق بيتي طلعة … لك حلوة ‥ قد أشرقت نغماتي

وغدوت لي **زادا** وطيفا عاطرا … أهفو اليه **بمطلق** اللهفات

في الصبح وجهك خير فجر مشرق … يهب الضياء سوابغا وصلات

ودنى المساء كواكب ومواكب … جنت على ألحانها رقصاتي

وتمد نحوى راحتيك مرفرفا … فأتيه في فيض من **النفحات**

ونداء « بابا » ذوب **ألحان الهوى** … يا طيبه **في** مسمعي ولهاتي

فأعيده ‥ وتعيده **في** نشوة … وباثره ألف من القبلات

وتضمني والثغر منك مغرد … فأعانق الضحكات بالعبرات

وأهيم في حلم أثير ساحر … وأرود أفق الخلد في لحظات

أنس ‥‥ وما أندى الوداعة ثرة … ما ترتوى من غورها نظراتي

في كل بوح من لغاك خواطرى … وبكل لفت من لحاظك ذاتي

قل ما تشاء بما تشاء فانني … ألقى لديك دفاترى ولغاتي





أغدقت في « بثن » و « بشار » قصا ... ئد من عبير تسكر النسمات

وظننت أني قد نزفت مشاعرى ... وصرفت حبي وانتهت لمساتي

وظهرت في أفقي ملاكا موحيا ... ونثرت في مغناى عذب فرات

فاذا بحبي دوحة ريانة ... واذا بصدرى عارم النفثات

واذا بوجهك يا أنيسي جنة ... لمت من الآفاق كل شتاتي

لله ما أحلاك صنو « بثينة » ... ورديف « بشار » وكنه صفاتي

يا أمهم .. يا أم أمل نفحة ... كملت منانا والزمان مواتي

هذى الأزاهر من عطائك قد زهت ... تياهة بأصولها الخضلات

وكأنها ـ والأنس يطفح باسما ـ ... قد جددت في عمرنا السنوات

• • •

يا رب .. ما طعم الحياة بدونهم ... ما قيمة الواحات دون نبات ؟

هم زينة الدنيا وهم نعماؤها ... وهم الخلود على الزمان الآتي

أوليتني نعما تفيض هناءة ... فأنا بأفق السعد لحن حداة

فاحفظ ودائعك التي أوليتني ... واحرس خطاهم وانثر البركات

وانسأ ـ الهي ـ في الرحيل وأبقني ... حتى أراهم في شتاء حياتي

شيبا وشبانا وقد بلغوا الذرا ... متألقين بفيضهم وهباتي

الحب الخالد

عدنان خضر

من الحب ما يحيا عـلى دفئـه القلب   وتخبو لبانات الحياة ولا يخبو

بليل كأنسام الجداول ، حالـم   كزهرالسواقي ٠٠سابح كالشذا٠٠رطب

تريف كأردان الأصيل ، مقوف   كأجنحة الأسحار تسرحها الشهب

وريف كأفياء الخمائل ، ناعم   كسقسقة الينبوع سلسلها القرب

ندى كأنفاس الخزامى حبا السنا   على هدبها الوسنان فارتعش الهـدب

اذاهل في بيـداء تلفـح عريها   سموم كسا أضلاعهـا الظل والعشب

فتغدو قراحا للعصافير والمهـا   مؤلفـة ، سرب يجاوره سرب

تروح ضواريها وتغدو وديعـة   فلا النسر يصدى للدماء ولا الذئب

• • •

أطل عـلى عمرى ٠٠ حبيبا ٠٠ فأمرعت   سباسبه الظمأى وعانته الخصب

وبرعم أحلامي وندى خواطرى   وجادت غصون الروح من أفقه سحب

تهادت بـه البشرى تجرر ذيلهـا   فأشرق وجه الكوخ واخضلت الدرب

وزفتـه للايام فاخضر يبسهـا   ورقت حواشيها ونضرها الحب

وحطت بـه نشوى عـلى شرفـة المنى   فخفت لـه عيني وخف لـه القلب

سباق ٠٠ وجلى فيه قلبي على الونى   فلو سبقته العين جرحه العتب

يلوح لي ٠٠ عبر الزمان ٠٠ شبابـه   وما زال في كم الطفولة لايحبو

لـه في الحنايا مضجع ان يطف بـه   كرى وله في مهجتي ملعب رحب

ومتكأ ٠٠ بين الجوانح ٠٠ هانيء   تحف بـه الأقمار والانجم الزغب

أهدهده ٠٠ أحنو عليـه أضمـه   فيغمرني عطر دفوف الشذا سكب

وأنـزلـه مهدا رضيا يظلـه   جناح وثير الريش يغرده الحدب

ويسكرني منه الدعاب وانتشى   اذا رف في الآصال ترجيعه العذب

ويومىء لي من ثغره طيف بسمـة   فيسفر عن خد الضحى الشرق والغرب

أبيت لئلا يعرف الجوع طاويـا   وأشرب أكدارا ليصفو له الشرب

وأجهـد حتى يعذب الحر في فمـي   لتنبت ألوان النعيم له الرحب

وأدحو لـه وعث الطريـق براحتي   الى أن يلين الشوك والموطىء الصلب

وامهد بالصدر الحزون الى الذرا   ليسلس فيها الوعـر والمرتقى الصعب

وأرغب عن أمسي لأحيا بـه غدي   فيخطر بي مهر الخلود ولا يكبو

وارضعه حب التراب الـذى نمى   كتائب من غسان تعشقها الحرب

ومن أصله غسان عز أرومـة   وكان فرندا لا يحيد ولا ينبو

المتنبي

زكي قنصل

هززت بعد سبات أمة العرب | هل يستفيق فتى الفتيان في حلب؟
هل يشرئب لواء كان مسرحه | بين السيوف ، ومرساه على الشهب؟
يا شاعر الدهر ضيعنا حميتنا | واسود ما ابيض من تاريخنا الذهبي
لا تعجبن لدمعي ، واعجبن اذا | ضحكت في مأتم العلياء من طرب
هنا وهانت على الباغي كرامتنا | وأصبحت أرضنا نهبا لمنتهب
تقاذفتنا حثالات الورى أكرا | ونحن في غفلة عنهم وفي شغب
كأننا لم نكن في الدهر ناصية | في ساحة الحرب أو في حومة الأدب
أشكو همومي ولكن لم يمت أملي | كم فرج البث ما استعصى من الكرب
اني لألمح في الآفاق بارقة | سبحانك الله أكرمها عن الريب
يا من يعيب علينا أننا حطب | النار والنور ـ لو فكرت ـ من حطب

أبا محسد هل تعنيك شكوايا | فأستمر ، وهل تضنيك بلوايا ؟
أصخ الي فان الصدر في حرج | تكاد تعثر بالقصات نجوايا
حظي كحظك ، لكن دربنا اختلفت | وخاب مسعاك في الدنيا ومسعاي
لم تجن من حقلها الا سفاسفه | ولم أمد لغير الشوك يمنايا
مسراك فيها على نار مسعرة | ومثل مسراك في الآفاق مسرايا
وجدت في الشعر سلوى فاستعنت به | على الزمان ، وغال الشعر سلوايا
لا يستطيع جناحي أن يطير الى | أدنى مراقيك فاصفح عن خطايايا
ذكراك كالشمس لا يخبو لها ألق | فمن تراه غدا يعني بذكرايا



لولاك لم تستقم للشعر مملكة ... فلم يقل أحد الاك لولايا
ما زلت نارا على نار على علم ... فهل تعف الليالي عن بقايايا ؟

ناشدتك الله حرك ريشتي فأنا ... كالميت ، بل أنا ميت مزق الكفنا
أحببت أهلي ، ولكن ضاق بي وطني ... فقلت أجعل دنيا الله لي وطنا
وسامني زمني ما لا يطاق فلم ... أملا فمي زبدا أو ألعن الزمنا
قبست منك أماثيلا غلت ثمنا ... ان كان غيري لم يعرف لها ثمنا
حرية المرء كنز ليس يعدله ... ما حاز قارون من مال وما اختزنا
ركبت من أجلها ما هال من خطر ... وعفت ما لان من عيش وما حسنا
دجا صباحك واعتلت بشاشته ... فكيف ترجو من الليل البهيم سنا ؟
وكيف يفلح سيف نصله خشب ... لا خير فيه ، اذا سيف السيوف ونى ؟
أوسعت كافور هجوا لا لبشرته ... لكن لأن على أخلاقه درنا
وليس كل بياض للنقا مثلا ... فرب سم زعاف خالط اللبنا

يا شاعر الدهر ان الصبر قد عيلا ... مذ أصبح الشعر تهريجا وتدجيلا
جنى البغاث عليه واستهان به ... رهط يرون فضول القول تنزيلا
لا يحسنون سوى مضغ الكلام فلا ... تعجب اذا أمعنوا في الشعر تنكيلا
هاموا بسفسطة الألغاز واصطنعوا ... للسخف واللغو تمثالا واكليلا
من برج بابل قد جاءت بضاعتهم ... فأنت تفهم منها غير ما قيلا



لا ينتمون الى شرق بشعرهم
والغرب ينبذهم جمعا وتفصيلا
تحنو عليهم من النقاد شرذمة
تعلموا النقد تزميرا وتطبيلا
عمي يسيرون خلف الديك عن عمه
ويعلكون أحاجي الشعر تأويلا
لم يجد في ردعهم نصح ولا كرم
بل زادهم كرم القراء تضليلا
حلفت باسمك ان لجوا بباطلهم
لسوف نغزوهم طيرا أبابيلا

أشرف علينا وحدثنا باسهاب
عما تجرعت من شهد ومن صاب
شهدت في نصف قرن ألف معركة
وخضت ألف عباب غير هياب
فلم تسجل لغير العرب مفخرة
يا شاعر الدهر هل كانوا بلا عاب ؟
أدناك منه فتى عدنان فاشتعلت
بالحقد أكباد أعداء وأصحاب
ولم تكن دونه شأنا ومرتبة
وان تكن دون ألقاب وأحساب
سعت أفاعي الأذى والكيد بينكما
فانقاذ ... وازور قرضاب لقرضاب
فعفت صحبته ، لكن على مضض
وغبت عنه وما كشرت عن ناب
لا يشرب الحر من بئر ويحصبها
ولا يعفر خديه على باب
ان كان أعطاك مما في يديه فقد
غمرته بعطايا قلبك الصابي
مضت هداياه ... أما ما بذلت له
فسوف يبقى لأحقاب وأحقاب

دار الزمان فهل أنباك انسان
بما يعاني من الأرزاء لبنان ؟
تناهشته نيوب الغدر واجتمعت
على بقاياه ذؤبان وعقبان

هذا الذى هدت الدنيا حضارته — لم يبق منه ومن ماضيه عنوان

ماتت ـ ولم يبكها باك ـ رسالته — فليس فيه لغير الموت ميدان

تبت يد زرعت بالحقد تربته — فصار من نبتها صل وثعبان

تحول النور فيه ظلمة وذوت — رياضه ، وانطوى حسن واحسان

فلا الجداول في واديه ضاحكة — ولا البلابل ألحان وألوان

يا من يرد الى الفردوس بسمته — ويخمد النار ، فالشطران اخوان

حامت على فرق الاطفاء تحرسها — قلوبنا ومشى في الركب عدنان

ان لم تعد لشتيت الصف وحدته — فكل ربح لمن يجنيه خسران !

● ● ●

يا شاعر الدهر بث الروح في وترى — يعذب هديلي ويستحل الورى ثمرى

الشام مدت الى لبنان راحتها — بالزهر فانتعش الايمان في الحجر

لبت نداء الوفا يقتادها بطل — نجد تعود لا يختال من بطر

هيا نغن لها : لا عكرت بردى — ريح ، ولا اختلجت عيناك من كدر

يا حافظ الدار من شر يراد بها — أراك من ظفر تمشي الى ظفر

طارت اليك على بعد جوانحنا — ترعى دروبك من كيد ومن خطر

لأنت قرة عين المجد ، ما وقعت — لولاك الا على ليل بلا قمر

يا ابن القضية غذاها بمهجته — وكان أسخى عليها من يد المطر

ما دمت تزأر في باب الشرى أسدا — فقد تبخر حلم الغاصب التترى

اني لأرفع رأسي فيك مفتخرا — فلتنخفض هامة الدنيا لمفتخر !

ذكرى وصفي قرنفلي

• بيان الصفدي •

ألق على وجه الليالي يخطر — وقصيدة **بدم الجياع** تعطر
حملتك نفس لا حدود لافقها — وشرارة شعرية تتسعر
صحبتك روح من بقايا أعظم — شمخت على ذل الخنى لاتكسر
يا شاعر النفس العظيمة فلتعش — حلما يؤرجحه الرفيف الاخضر
ردد على شفة الورى أنشودة — شعبية بدم الحزانى تزخر
الشعر مجمرة وفيض خواطر — منغومة بأريجها تتدثر
الهم مزروع بقلبك نخلة — دموية والجرح برق أحمر
تسرى مع الانهار شجوا ناعما — فيفيض في الانهار لحن مسكر
تخزى مواجعك الجليلة ذلنا — تخزى الزمان بدمعة تتحدر
عرفتك أغنية الزمان وليله — والخيل في بيدائه اذ تطمر
ما أنت في سفر الوجود وحلمه ؟ — جل المسمى ـ في الحياة ـ الشاعر
شدهت عصور الحزن في تاريخنا — فالدهر يسمع والليالي تنظر
هذا جواد جد في صحرائه — طلبا .. فأقعده السراب القاهر
فقراء أهلي كدست آلامهم — وشتات قومي في الظلال يعثر
وينام قومي هانئين بدارهم — والموت يعوى والرياح الصرصر
وصفي ستأتي ليلة دموية — تطأ الهوان فتستهل الاعصر
حلما يفيض على الحروف معطرا — بالشعر قد صيغ الزمان الاعطر
ذل العصور غمامة وستنتهي — قولوا معي : بدء الزمان الاكبر

سمراء

ناجي مشوح

عيناك يا سمراء أقرأ فيهما ... أنف المدل وذلة المستسلم

والسمرة الشهاء ألمح تحتسها ... دنيا من الشهوات فاغرة الفم

لا تكتمي الشبق الحيي فقد بدا ... في مقلتيك مطوفا لا تكتمي

صور الخنى مجنونة رفت على ... شفتيك نشوى كاختلاج البرعم

مصي دمي لا ترأفي بي ، علني ... أطفي الأوار الثر في قلبي الظمي

اني أحبك مرغما .. فتدللي ... ما أنت الا جنتي وجهنمي

سمراء يا حلمي الشهي تكلمي ... هل حمرة الشفتين الا من دمي..

أنا لست الا كالفراشة حائما ... النور يحرقها وفيه ترتمي

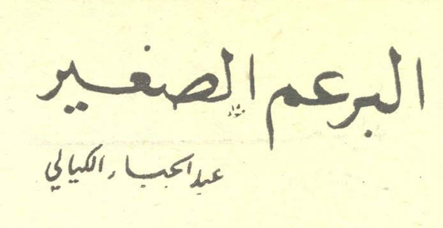
تستنزفين دمي وأنت قريرة ... القتل عندك ويك غير محرم

سيان عندى فاهجريني أو صلي ... ما دمت في الحالين لم أتنعم

سلمت للحب الضلول أزمتي ... ورميت نفسي في اللظى المتضرم

فخسرت في سوق الصبابة أسهمي ... وندمت لكن لات ساعة مندم ..





عبد الجبار الكيالي

أنت من أين ؟ ومن أين أتيت ؟   أنت حلم ؟ أم من الزهر خلقت ؟

برعما يهتز مخضل الجوى   أنت منه العمر يحلو ، وهو أنت

باسما يزهو على أيكته   عاصف الوجد ، وعن وجد سرحت

قلبك الأزغب حلم مفعم   بالمنى يخفق أنى قد حبوت

كلما قصرت عنه لحظة   دمعت عيناك قهرا فبكيت

واستجاب الكل يسعى عابثا   واكفهر الجو لما أن عبست

فسقاك الجمع من أعطافهم   وشربت الصفو حتى أن بسمت

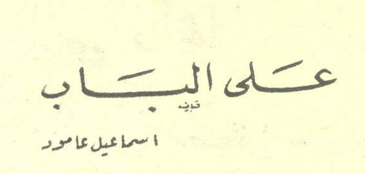
وانثنى عودك مختالا بما   نهلت عيناك منهم ونعمت

يكتفي البرعم في روضته   بندى الفجر ، ويزهو ما زهوت

كحلي بالحلم طرفا ساحرا   يا بنة الأحلام كوني ما أردت

ما أحيلى عمرك الزاهي رؤى   تبسم الدنيا لها أنى مشيت





افتحي الباب .. قد أكون على الباب ، حزينا .. وقد أكون شقيا
فالرياح الهوجاء ، تصفر في الدروب وتذرى الغبار في ناظرينا
والأماني ، زهرة عاشت القفر ، وأدمى قطافها راحتيا

افتحي الباب ، قد أكون على الباب مساء مستجديا منك شيا
رب باب ينداح عن أمل عذب يريني الحياة روضا نديا
لست أهواك للرجاء .. ولا للخوف ، لكن ، عشقت أفق المحيا
أنا ملك الجمال ذوبني الحب شجونا .. وكان وقفا عليا

افتحي الباب .. أى قلب على الباب ، ينادى ، ويرسل الشعر حيا
وجهك الياسمين ، أفقي ، مدى العمر .. تراءى والشوق أينع فيا
والربيع المدل .. في صدرك النامي ، حياة ، كم الهمت عبقريا

افتحي الباب ، لا تهابي السخافات .. وهيا فالكون أخصب .. هيا
شاعر ، أشتهيك في وله الرغبة ، رؤيا تمور وحيا قصيا
أتملاك فتنة صاغها الشعر نشيدا يضج في خافقيا
افتحي الباب ، قد أكون على الباب رسولا .. وقد أكون نبيا
- أنا - سفر الجمال أنزل في أرضي .. وشهق الحياة في جانحيا



من رآها

مصطفى عكرمة

قيل : ان الأيام تنسي هواها   ألف هيهات أن أحب سواها!!

ان للقلب أن يحب حبيباً   ويرى الناس بعده أشباها

هي مني تلهف واشتياق   ومناها .. أني ملكت هواها

منحت مقلتيّ كل مناها   وغفت مطمئنة مقلتاها

نلت منها فوق الذى كنت أرجو   ه ونالت ، من مهجتي مبتغاها

قد ترحلت وابتعدت وعاود   ت وما زلت في يدى يداها

كان للنفس قبلها صبوات   واستحالت في أن أظل أراها

ألهمتني الشعر الذى أعجب النا   س ، وغنوه .. حينما غناها

كدت يا شعر أن تذوب من الوج   د .. فيا شعر هل أنالتك فاها

شربتك الشفاه يا شعر خمرا   حينما كنت عن لماها شفاها

لا أراني أحس للعيش معنى   ان تكن فيه لم تذب معناها

لا تقولوا متى وأين نراها   من رأى الحسن في الحياة .. رآها



مدخل عبد القاهر الجرجاني

في دلائل الاعجاز.

عبد الغني اصطيف

يعمد النقاد والمحدثون اليوم ، الى تصدير كتبهم بمقدمات تعرف القارىء بالكتاب الذي يتناوله، وتطرح عليه القضية التي يتضمنها الكتاب . ولذلك نراهم يذكرون في البداية النظرية التي يتبنونها أو يدافعون عنها ، أو يفسرونها ويبينون الطريقة التي سلكوها في عرضها ،والصعوبات التي اعترضتهم في بحثهم والاهداف التي يرمون الى تحقيقها من وراء عملهم بعد أن يشعر القارىء بالحاجة التي يلبيها هذا العمل، ويستجيب لها.

واذا كنا نرى في هذا أمرا عاديا ، بعد أن تطورت حركة التأليف في عصرنا هذا ، فان ذلك لم يكن أمرا عاديا قبل تسعة قرون . واذا كنا نعتبر هذا التقليد مستمدا من الغرب ، أهداه لنا الاتصال بالحضارة الاوربية في بداية عصر النهضة العربية ، فانه لم يكن كذلك في زمن عبد القاهر .

وكلمة مدخل intnodaction التي نراها اليوم في مقدمات الكتب الحديثة ، الاجنبية والعربية ، كانت كلمة عربية قديمة بلفظها ومحتواها . بلفظها

لانها تغني « مدخلا » وبمحتواها لان صاحبها كان يقدم فيها اسسه المعتمدة في بحثه ، والاهداف التي يرمي الى تحقيقها من وراء عمله والاهم من ذلك كله توضيح مصطلحه النقدي الذي يستعمله ، ومدلول هذا المصطلح حتى يكون تعامله به فيما بعد ، خلال فصول الكتاب ، مستندا الى رصيد موضوعي من الدلالة الواضحة ٠

واذا ما علمنا أن أزمات النقد الادبي في الغالب تنشأ عن غياب المصطلح النقدي أو عن سديمية دلالته ، أدركنا قيمة عمل عبد القادر في مدخله دلائل الاعجاز ، فالرجل كان يدير نظريته في تفسير اعجاز القرآن حول مفهوم النظم وهذا المصطلح النقدي الذي يستعمله لابد له من توضيح كاف يستطيع أن يستند اليه في معالجته لهذه القضية في ثنايا كتابه ٠ وخاصة بعد أن رأينا أن هذا المصطلح قد استعمل قبله، بدلالات مختلفة ومتباينة حينا ، وبلا دلالات حينا أخر ٠ وجدنا ذلك عند الجاحظ والخطابي والباقلاني ، أولئك الذين تحدثوا عن النظم ، وحاولوا أن يسهموا في دفع الحركة النقدية العربية ، من خلال تقديمهم لهذا المصطلح وا ستعماله٠ ولكن يبدو أن طبيعة المرحلة الحضارية التي كان العرب يمرون فيها آنذاك ، لم تكن تسمح لهم بأن يكون لهم هذه الدقة استخدام المصطلح النقدي ، خاصة وان نقدنا العربي الحديث والمعاصر يكاد يفتقد مثل هذه الدقة ، أو تكاد تكون قليلة فيه ٠

يقول عبد القاهر في مدخله في دلائل الاعجاز ، هذا كلام وجيز، يطلع به الناظر على أصول النحو جملة، وكل ما يكون به النظم دفعة ٠ ثم يشرح ما يريده بمصطلح النظم فيقول : « معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض » فالذي يقصده اذن بمصطلحه ، الذي سيعامل به في كتابه هو هذه العلاقات التي تقوم بين الكلمات ولكن هذه العلاقات كثيرة ، وصورها مختلفة ، وذلك لان الكلم أنواع ، وارتباطه بعضه ببعض يكون على صور عديدة ومتباينة فيما بينها ، ومن ثم فان هذا التوضيح غير كاف ٠٠

ويبدو أن ناقدنا كان منتبها الى هذه الحاجة ، ولذلك فاننا نراه يعمد الى تحديد أنواع الكلم أولا ، والى تحديد صور هذه العلاقات التي تنشأ بين تلك الانواع ثانيا ، فيقول : والكلام ثلاث اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة ، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام : تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل ، وتعلق حرف بهما ٠ ونسأل أنفسنا من جديد ما هو الناظم لهذه العلاقات ، التي يمكن أن تقوم بين الاسم والفعل والحرف ؟ انه لاشك النحو ٠ ودليل ذلك جملته الاولى « يطلع به الناظر على أصول النحو جملة » وهذه الصور من العلاقات التي يفصلها ، ويمثل عليها ٠

صور العلاقات بين الكلم :

آ = تعلق الاسم بالاسم : « الاسم يتعلق بالاسم بصور عديدة منها :

١ ـ أن يكون خبرا عنه ٠
٢ ـ أن يكون حالا منه ٠
٣ ـ أن يكون تابعا له صفة ٠
توكيدا
عطف بيان
بدلا
عطفا بحرف ٠
٤ ـ أن يكون الاول مضافا الى الثاني ٠
٥ ـ أن يكون الاول يعمل في الثاني عمل الفعل ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول ، وله حالات عديدة وهي :

اسم الفاعل : « أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » ٠
اسم الفاعل : « ذلك يوم مجموع له الناس » ٠
الصفة المشبهة « زيد حسن وجهه ، وكريم أصله»
المصدر : « اطعام في يوم ذي مسبغة يتيما » ٠
٦ = أن يكون تمييزا قد جلاه : ملء الأرض ذهبا»

ب تعلق الاسم بالفعل : وهذه صورة :

١ = أن يكون فاعلا له :
٢ = أن يكون مفعولا فيكون مصدرا قد أنتصب به أو مفعولا مطلقا « ضربت ضربا » ٠
٣ = أن يكون مفعولا به : ضربت زيدا ٠
٤ ـ أن يكون ظرفا مفعولا فيه : زمانا أو مكانا٠
٥ ـ أن يكون منزلا من الفعل منزلة المفعول وذلك في :

ـ خبر كان وأخواتها ٠
ـ في الحال ٠
ـ في التمييز المنتصب عن تمام الكلام : طاب زيد نفسا ٠
ـ في الاسم المنتصب على الاستثناء : جاء في القوم الا زيدا ٠

ج ـ تعلق الحرف بهما : وهو على ثلاثة أضرب :

١ ـ أن يتوسط بين الفعل والاسم فيكون في :
ـ حروف الجر : التي من شأنها أن تعدى الافعال الى ما لا تتعدى اليه بأنفسها في الاسماء ٠
ـ واو المعية ٠
الا الاستثنائية ٠

٢ ـ العطف : وهو أن يدخل الثاني في عمل العامل الاول ٠
٣ ـ أن يتعلق بمجموع الجملة كـ ـ حروف النفي
ـ حروف الاستفهام
ـ الشرط
ـ الجزاء

وذلك أن من شان هذه المعاني أن تتناول ماتتناوله بالتقييد ، وبعد أن يسند الى شيء ٠

ونسأل من جديد : ماذا عن تعلق الحرف بالفعل والحرف بالاسم ؟ فيجيب عبد القاهر « أنه لا يكون كلام من حرف وفعل أصلا ٠

ولا من حرف واسم ، الا في النداء ، نحو (ياعبد الله) ، وذلك أيضا اذا حقق الامر كان كلاما بتقدير الفعل المضمر الذي هو أعني وأريد وأدعو ، ويا : دليل على قيام معناه في النفس » ٠

والملاحظ أنمسحة معينة تطغى على هذه العلاقات، وأن سمة خاصة تطبعها كلها فهذه العلاقات القائمة بين الكلم ، ما هي الا علاقات نحوية بحتة ٠ وهكذا فاننا منذ البدء نقع على بعض الاسس التي اعتمدها عبد القاهر في نظرية النظم التي يقدمها، وأولها النحو يؤكد هذا الامر جملته السابقة ، وصور هذه العلاقات بين الكلم التي قدمها ، وقوله « فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض ، وهي كما تراها معاني النحو وأحكامه »٠

وأما الاساس الثاني فهو المعنى فعندما ينفي عبد القاهر أنه لا يكون كلام من حرف وفعل أصلا ، ولا من حرف واسم ، فان نفيه هذا، لا يمكن أن يفهم على وجهه الصحيح دون التنبه الى أن هذه العلاقة لا تعطي معنى مفيدا ، ولذلك فان المرء لا ينظر الى هذه العلاقة ولا يبحث في طبيعتها، ولا في ركنيها، لانها حصيلتها المعنوية لا تساوي شيئا في نظر الجرجاني ٠

غرضه من الكتاب :

وبعد عرضه لصور العلاقات يقول : « ثم انا نرى هذه ـ أي صور العلاقات بين الكلم التي ذكرها ـ موجودة في كلام العرب ، ونرى العلم بها مشتركا بينهم» فاذا كان النظم موجودا في كلام العرب ، فأين وجه الاعجاز القرآني ؟

ويجيب عبد القاهر على هذا السؤال بعد تنبهه له، وتنبئه به قائلا « واذا كان ذلك كذلك ، فما جوابنا لخصم يقول لنا : اذا كانت هذه الامور ، وهذه الوجوه من التعلق ، التي هي محصول النظم موجودة على حقائقها وعلى الصحة ، وكما ينبغي ، في منثور كلام العرب ومنظومه ٠ ورأيناهم قد استعملوها ، وتصرفوا فيها ، وكملوا بمعرفتها ، وكانت حقائق لا تتبدل ولا يختلف بها الحال ، اذ لا يكون للاسم بكونه خبرا لمبتدأ أو صفة لموصوف أو حالا لذي حال ، أو فاعلا ، أو مفعولا لفعل في كلام ، حقيقة هي خلاف حقيقة في كلام آخر فما هذا الذي تجدد بالقرآن من عظيم المزية وباهر الفضل ، والعجب من الرصف ، حتى أعجز الخلق قاطبة وحتى قهر من البلغاء والفصحاء القوى والقدر ٠ وقيد الخواطر والفكر ، حتى خرست الشقاشق ، وعدم نطق الناطق ، وحتى لم يجر لسان ، ولم يبن بيان ولم يساعد امكان ، ولم ينقدح لاحد منهم زند ، ولم يمض له حد، وحتى أسال الوادي عليهم عجزا ، وأخذ منافذ القول عليهم أخذا ! أيلزمنا أن نجيب هذا الخصم عن سؤاله، ونرده عن ضلاله ، وأن نطب لدائه ، ونزيل الفساد عن رائه ٠

ان الحاجة ماسة لتوضيح هذا الامر وكشف هذه القضية ، وعبد القاهر شاعر بها ، ولا شك أن هذا الشعور في مدخل الكتاب ، سيجعله يحاول التصدي لها ، والاحاطة بكل ملابساتها ويبدو أن الامر يقتضي أكثر من مقدمة ، أو على الاصح يقتضي كتابا وهذا ما كان من عبد القاهر « فان كان ذلك يلزمنا ، فينبغي لكل ذي دين وعقل ، أن ينظر في الكتاب الذي وضعناه، ويستقصي التأمل لما أودعناه ، فان علم أنه الطريق الى البيان ، والكشف عن الحجة والبرهان ، تبع الحق وأخذ به ، وان رأى أن له طريقا غيره أومأ لنا اليه ، ودلنا عليه » ٠

لقد وضع عبد القاهر الجرجاني كتابه اذن لايضاح كيفية امتياز القرآن بنظمه ، وهكذا فانه في مدخله ، قدم مصطلحه النقدي ، ووضح دلالته ، وطرح قضيته التي كانت تؤرق الناقد العربي في عصره وهي قضية اعجاز القرآن ، وقال ان النظم هو الذي يميز القرآن ، وان صور هذا النظم موجودة في كلام العرب ٠ وسأل بعدها : كيف امتاز القرآن على الكلام العربي وكيف تحقق له الاعجاز البياني بالنظم ، ما دام موجودا في كلامهم ؟ وبعد أن أشعر القارىء بالحاجة الى خوض غمار هذه القضية أوضح أن هدفه من كتابه هو مناقشتها ٠

وختم كلامه بملاحظة قيمة ، وهي أن مثل هذه القضايا الادبية ، لا ينتهي بها الى جواب واحد ، ولذلك فانه أفسح المجال للاجتهادات الاخرى ، لان الاسئلة الفنية تحتمل أكثر من جواب ، أو هي كما يقول عنها أبو حيان التوحيدي « المنتهي منها غير مطموع فيه ، ولا موصول اليه » ٠

دمشق ـ عبد النبي اصطيف

مع الدكتور اسعد علي

أجرى الحوار
بيسوا البحر مدحة عكاش

— ١ —

اهتمامات متنوعة

سؤال :

● أنت صديق « الثقافة » قبل غيابك عن قطرنا الحبيب ، فمنذ خمسة عشر عاما كنا نستشف طموحك من أحاديثك وقصائدك التي نشرت الثقافة منها « أمل تمجدني الخيال » ٠٠ وسواها ٠٠ لم أعد أذكر تماما ٠٠

لكن الذي لا يمكن « لثقافة » أن تنساه ، هو خدمتك الامينة لروح الثقافة ، فقد نشرت اثنين وثلاثين كتابا في : اللغة والادب ، والفلسفة والتربية ، والاسلام والمجتمع ،والسياسة والشعر ٠٠٠ وقد عرفت باهتمامك الاكاديمية، على مستوى التحصيل وعلى مستوى التنويل ، أعني أنك درست الحقوق في جامعة دمشق ، والادب والفلسفة والتربية في الجامعة اللبنانية ، ثم حزت الدكتوراه في الادب من جامعة طهران، ثم الدكتوراه في الفلسفة من جامعة القديس يوسف التابعة لجامعة ليون ٠٠ هذا ما عنيته بالتحصيل الاكاديمي ، أما ما أعنيه بالتنويل ، فنشاطك العملي في الجامعات ، فأنت درست الادب العباسي واللغة العربية في جامعة بيروت العربية ، ودرست صناعة الكتابة وعلوم البلاغة في الجامعة اللبنانية ، ثم صرت أستاذ الدراسات العليا في معهد الاداب الشرقية ، في بيروت ٠٠ وآخر ما عرفناه من نشاطك الاكاديمي هذا ، هو مناقشتك لاثنين من طلابك القدامى في المعهد : ومنحك شهادة الماجستير في الفلسفة ، لاحدهما على رسالته : فضيلة التربية المسكوية ٠ ثم منحك شهادة الماجستير في الادب الحديث لثانيهما على رسالته : سهيل أدريس وقصصه ٠٠

دكتور أسعد علي ، ان مجلتنا ترحب بك : صديقا قديما ، وكاتبا متنوع الانواع الكتابية ، ومحصلا أكاديميا، ومنولا في مجال التربية والتعليم العالي ٠٠ واننا نحمل اليك مجموعة من الاسئلة ومعها رغبتنا بالحوار معك حول عديد من المسائل الثقافية العامة المتعلقة بانساننا العربي، وحول المسائل الخاصة المتعلقة بجملة نشاطك الثقافي أثناء غيابك الذي دام حوالي خمسة عشر عاما ٠٠ فمن أين تريد أن نبدأ ؟

— ٢ —

مشكلة الخاص والعام في اهتمام المثقفين

جواب :

أولا ـ أشكرك على هذا التتبع الوفي للثقافة ولما تسميه نشاط صديقك القديم ٠٠ فالوفاء للفكر والمفكرين يستحق الشكر العميق ويبعث الامال الفساح في نفوس هؤلاء العشاق الذين أحبوا الحقيقة وعملوا بها ولها ، ولو قل أهل الحقيقة ٠٠

ثانيا ـ أحب أن نبدأ المحاورة من التحديد الواضح للمنطلق العام الذي أردت لنا أن ننطلق منه ٠٠

سؤال :

● كيف تريد تحديدا واضحا لمنطلقنا العام ،وأنا أظن أن الحوار هو الذي سيوضح ويحدد منطلقنا العام ٠٠؟

جواب :

ـ هذا صحيح وغير صحيح معا ٠ كيف ؟

أعني هو صحيح من وجهة عامة ، فكل مسألة تبدأ عامة وتنخفض بالحوار والتحديد والتمثيل لها ٠٠

وأعني أنه غير صحيح من وجهة خاصة ، والوجهة الخاصة ، هنا ، هي صياغة المنطلق صياغة توهم بالتعاكس بين اتجاهين ، وهما ، في الاصل ، اتجاه واحد ، فقد قلت :« نحمل اليك مجموعة من الاسئلة ومعها رغبتنا بالحوار معك حول عديد من المسائل الثقافية العامة المتعلقة بانساننا العربي ، وحول المسائل الخاصة المتعلقة بجملة نشاطك الثقافي » ٠٠

ألا تلاحظ أن الصياغة توهم بالتعاكس بين مسائل الانسان العربي العامة وبين مسائلي الخاصة ؟ ..
والواقع أن ما قمت به ، تحصيلا وتنويلا ، كما تقول .. لم يكن كذلك ، فانا أشعر بالوحدة بين مسائلي الثقافية الخاصة ومسائل الانسان العربي ، وبل ومسائل الانسان الثقافية ، لان **الثقافة ، عندي ، تعني النمو الحياتي أو الحيوي** وفق نظريات المعرفة التي تتكشف للعارفين من الحياة .

سؤال :

● **ربما تكون اثارة الموضوع بهذه الصورة ، وان لم أقصدها ، تحتاج أدلة من أعمالك العلمية .. والذي كنت أقصده من صياغتي هو محاورتك في مسائل ثقافية عامة يتداولها المثقفون حول : الشعر ، والنقد ، والنثر ، والقديم والحديث ، وحول تأثير الشعر والقصة في حياتنا ، وحول الغموض والوضوح ، والقارىء والشاعر ، وحول مستوى المرأة الادبي ، وحول الحركة الشعرية الشابة في سوريا ..**

هذا ما عنيته بالمسائل الثقافية العامة .

أما ما أعنيه **بالمسائل الخاصة** المتعلقة بجملة نشاطك الثقافي ، فهو الحوار معك حول مؤلفاتك المطبوعة والمخطوطة ، وحول نشاطك التاليفي خارج بلدك .. ثم حول نشاطك بعد عودتك اليه ، مع اعتبار الفارق الزمني ، فقد غبت خمسة عشر عاماً ، ولم يمض على عودتك الاسبعة أشهر ..

والان ، من أين تريد أن نبدأ ، بدون تعاكس ، من المسائل العامة أم الخاصة ؟ وما هي الادلة على مسائلك الثقافية الخاصة ومسائل الانسان العربي ؟

— ٣ —

روح الوحدة في أعماق الشعر والنثر

جواب :

ـ نبدأ من مسائل الانسان العامة ، انما ننتبه لمعنى قولنا « نبدأ » ، أو لمعنى قولي « أبدأ » ، فهذا القول يحضر الفرد ويدفعه في خدمة الجماعة ، هذه البداية من مسائل الانسان العامة توضح لنا **الوحدة العميقة بين الخاص والعام** . وهنا ، قد يكون الدليل العملي مختبرا لهذا التوحيد . فمن أين تريد الدليل من الشعر أم من النثر ؟

سؤال :

● **أريده منهما معا ، وحبذا لو تجيء الادلة بالتسلسل التاريخي لمؤلفاتك المنشورة ..**

جواب :

ـ أول مجموعة شعرية نشرتها في ربيع ١٩٦٧ ، قبل حزيران الحزين ، هي « **عاصفة** » . في هذه المجموعة خمسة أقسام : معجزة . عاصفة . أنا والعاصفة . هموم متحدة . عائد الى يافا ..

في القسم الاول ثلاث قصائد : **روح عاشق** . وردة في الصقيع . صرت رعدا ..

أذكر من القصيدة الاولى أبياتا تؤكد الوحدة بين مسائلي والمسائل العامة ، بل يتحد الفرد في الجماعة اتحادا ويدخل من أجلها في تحولات مستمرة ، فتسافر روحه العاشقة في المنية وتصطاد عواصفها وصواعقها وتحولها : حياة ، ومشارق حياة ، ومعجزة تستولد الماء نارا ، وتحيي الصخرة فتغني وتصير حديقة ملأى زنابق .. تصير مدينة وحبيبة ومحاربة وعوالم جديدة وسماء فتح واحتمالا يبرق من عين الشمس : ومن العبارة الشعرية :

عشقت الارض محتضنا بنيها — بأجنحة الصعود .. أنا البيارق
أنا العربي مخترعا مصيري — أحب الله .. أعبده معاشق ..
أصير باقة أمما .. ودنيا — تؤذن من معابدها لخالق
تفاعله مخابرها بعلم — وطاقات تفجرها الخلائق ..
أنا العربي مخترعا مصيري — أصاعق .. أو أصادق .. أو أعاشق ..

هذا دليل شعري أول ، فأنت تلاحظ اتحادا مسائلي الخاصة بمسائل الانسان العربي والانسان الكوني .. ان مصير الانسان ينبغي أن يكون هم الثقافة الاول . فاذا صار المصير الانساني هما فان ولع الروح يتجه الى ابتكار أجنحة للصعود ، وكل انسان يبدأ من أرضه .. فاذا اتجه كل فرد في الوطن العربي لاختراع مصير عربي واحد يرفع الناس عن مستويات الخلافات والتنافر الى مستوى المحبة الموحدة .. اذا تحقق هذا الاتجاه فان الفرد العربي يصير كأنه أمته الواحدة وتصير أمته الجامعة كأنها الفرد الواحد لشدة ما تهتم به وترعاه . ليتفتح قدرة تحول الموت حياة ، والحجرة حديقة ..

هذا المستوى من التوحيد بين الفرد والجماعة في الوطن العربي ، عندما يتحقق يتحول تحولا جديدا فيصير الفرد بأمته أمما ، أي تصبح هذه الامة في خدمة الامم الانسانية كما أن الفرد صار بخدمتها فتحققت وحدتها ..
وهذه الصبوة الى الوحدة العربية والى اختراع مصير انساني صاعد تعطي ملامح « روح العاشق » واشواقها الى دنيا جديدة تتحد بها المادة والروح كما اتحد الفرد والجماعة بأمة عربية وكما اتحدت الامم الانسانية جميعا ..
لعلني اوضحت ما اردته من بيان الوحدة بيني مسائلي ومسائل الانسان العربي ومسائل الانسان كله..
وأظنني أوضحت أيضا أن الثقافة فعل تقوم حياتي وفق نظرية المعرفة التي يؤمن بها الفرد سبيلا لرفع مستوى الانسان وابتكار مصيره الاسمى ..

سؤال :

● هــذا دليل شعري يمثل مـا في مجموعاتك الشعرية الثلاثة : عاصفة . روح الفدائي . لانك حبيبتي ، أو : أسطورة الصحراء ..

جواب :

ــ نشرت سنة ١٩٦٨ كتابين : أحدهما لغوي ، هو : تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي .. والثاني أدبي نقدي ، هو : فن المنتجب العاني وعرفانه ..
في مقدمة الكتاب الثاني : « فن المنتجب » ، هــذه العبارة :
« كل ذرة من تراب بلادي عشيقة احبها ، أغار عليها وأجاهد من أجلها ..
« كل فرد من بني قومي اخ احبه ، يفرحني اذا ارتفع ويحزنني اذا سقط ..
« كل انسان من بني ادم زميل مصير اصادقه ، يسعدني اذا صدق ووفى ويشقيني اذا كذب وخان .. ».
ان اتحاد المسائل الخاصة والعامة ، هنا ، يتضح على مستوى وطني ، وعلى مستوى قومي ، وعلى مستوى انساني ..

سؤال :

● هذا الكتاب « فن المنتجب » هو رسالتك التي حزت عليها الدكتوراه في الادب ، وأظن منحى رسائلك الجامعية الاخرى يؤكد هذا الاتجاه الوحدوي ويغنيه .. ؟

جواب :

ــ هناك رسالة قبل « فن المنتجب » وقد أعدت لنيل شهادة الكفاءة ، أي ما يعادل الماجستير ، فيما بعـد .. وعنوانها : النزعة الشعوبية في شعر مهيار الديلمي ونقدها وفيها نوع من ازالة الغموض الشعوري الذي يشبه دخانا يحجب النور ، فالشعوبي بالمعنى التعصبي : انسان محجوب عن حقيقته الانسانية في الانسان الاخر ، وكل عصبية قد تؤدي الى الاحتجاب عن نور الحقيقة ..
أما الرسالة الكبرى التي نلت عليها الدكتوراه في الفلسفة ، فهي « معرفة الله والمكزون السنجاري » .
والدليل الوحدوي فيها يظهر في المقدمة ، فالله رمز لمطلق من القدرة والعلم ، ومعرفته انفتاح على تجاديد معرفته تجدد ممارسات الانسان وأخلاقه ، والانسان في هذا المجال هو انسان الرحمن المتجاوز ، انه يتجاوز كـل التفاريق على اختلاف المستويات ليكون انسان التوحيـد الروحي وانسان الوحدة المادية بين أبناء قومــه وبني الانسان .. وبين الانسان والطبيعة في مسار التفاعـل الوجودي الخلاق ..

ــ ٤ ــ

مسائل المثقفين والفجوة بين القارىء والشاعر

سؤال :

● ولقد اتفقنا على وحدة المنطلق فانت في شعرك ونثرك توحد بين مسائلك الخاصة وبين مسائل الانسان العامة ، عربيا وعالميا .. وقد أوضحت ذلك بأدلة من شعرك ورسائلك الجامعية ..
هذا يعني أننا أحرار في طرح أسئلتنا من أي حقل عام أو خاص .. لذلك نتوقف عند مسائل الثقافة والمثقفين ونتعرف الى آرائك المركزة فيها ..
« تقول جماهير القراء :
ان هناك فجوة ما بين القارىء والشاعر .. فهل هذا صحيح ؟

جواب :

– اذا أجمع القراء على وجود هذه الفجوة بين القارىء والشاعر ، فهذا يعني أن الفجوة موجودة ، لانهم يقرون معاناتهم مع الشاعر ٠٠ لكن تقريرهم هذا هل هو صحيح ؟ بمعنى هل هو ظاهرة صحية في عالم الثقافة والابداع ؟

الشاعر يعاني الحياة أولا ويختزنها ويتمثلها ثم يصوغها مجددا ، والقارىء مثل الشاعر يعاني الحياة ويختزنها لكنه لا يصوغ معاناته ، وانما يصغي الى صياغة الشاعر ، ومن هنا تحصل الفجوة ، أي التباعد بين القارىء والشاعر ٠٠ الفجوة في الشكل التعبيري ، غير أن الشكل يترسم على انفعال ازاء حدث حياتي ما ٠٠ والاحداث كثيرة ومتنوعة ، والانفعالات ازاء الاحداث متنوعة ، كل ذلك يجعل ظهور مسافة بين القارىء والشاعر ممكنة ٠٠ وهذه المسافة التي تسميها « فجوة » بينهما ظاهرة صحيحة من حيث الواقع ٠٠ هذا لا يعني أن ينعدم التواصل بين القارىء والشاعر بحجة هذه التفاصيل المنوعة في تجارب الحياة ٠٠

الشاعر الاصيل يعرف كيف يجعل قصيدته مرآة جامعة ، كل قارىء يرى بها صورة من حياته مهما كانت تجربته ٠٠ لكن الهوة تبقى بين المرآة والناظر اليها ، بين القصيدة والقارىء ٠٠ وبقاؤها صحيح ما دامت تحقق الرؤية للقارىء ٠٠

سؤال :

● **ألا ترى أن هذه «الهوة» بين القارىء والشاعر تتولد من « ظاهرة الغموض » التي كثر الحديث عنها مؤخرا ؟**

جواب :

– الغموض والوضوح مسألتان تقعان في صميم التفكير وفي ظواهر التعبير ، والحديث عنهما مؤخرا لايعني أنهما لم تشغلا القدامى ٠٠ فقد قال أعرابي لابي تمام : لم تقول ما لا يفهم ؟ فأجابه أبو تمام : وأنت لم لا تفهم ما يقال ؟

لكن سؤال الاعرابي وجواب أبي تمام لا يعفيان الاثنين من محاولة الاقتراب ، أعني اقتراب كل منهما من الآخر ٠٠ الشاعر يقترب من صميم العملية الشعرية التي هي نقل المعاناة بصدق ٠٠ والقارىء يقترب من العبارة ويصبر عليها ليعبر منها الى الرؤية التي رآها الشاعر ، فقد لا يكونان على مطل واحد من بحر الحياة ، لكنهما يلتقيان على امتداد الشاطىء وجنس الموج الشاعر يصفي مرآة تعبيره لتنعكس عليها كل الجهات ٠٠ والقارىء ينقي عيني الاتجاه ولا ينفخ على المرآة فيغبشها ٠٠

وبالتالي ليس كل ما لايفهمه القارىء والجمهور في حساب الغموض ، لان الغموض غموضان : **هناك غموض العمق ، وهناك غموض السطحية ٠٠**

فالغموض العمقي ، من أصل لعبة الابداع ، كل ابداع يتصف بهذا العمق الغامض ، وهو واضح بالوقت ذاته ، وضوحه يجيء من طبقته الاولى ، فيفهم الاثر فهما أوليا ٠٠ وغموضه يجيء من اختزانه عددا لا حصر له من المشاعر والانفعالات والافكار ، هذا غموض الاعماق رغم صفائها ٠٠ غموض العمق مثل بحر هادىء صاف ، لكنه يخبىء في أعماقه مفاجآت ومخزونات ٠

والغموض السطحي مثل ماء ضحل عكر ٠٠ عكره التعبيري يوهم بالبعد والعمق وعبثا تجد في مثل هذا الشعر ملجأ عميقا يريح الانسان أو يرفع الوجدان ٠٠

سؤال :

● **هل تسمح بالتوقف عند هذه النقطة ؟ انك ميزت بين غموضين ، ويفهم من شرحك لهما : أن غموض العمق أصيل جوهري في عملية الابداع الشعري ٠٠ وأن غموض السطحية زائف عرضي ، فهو من قبيل ذر الرماد في الاعين ، أو من قبيل تعكير الاعماق ليوهم بمخزون وبعد غير موجودين ٠٠**

أحب أن أذكر بما يقال في الاندية الثقافية ، هنا وهناك :

مثلا : غالي شكري ، يعزو الغموض الشعري الى تعقيد الحياة ٠٠

مثلا : أدونيس يتهم القراء بالضعف الثقافي لانهم لا يفهمون القصيدة الحديثة ٠٠

وهناك أنصار للقصيدة الحديثة يتعصبون لها ٠٠ كما يوجد أنصار للقصيدة الكلاسيكية يتعصبون لها ٠٠ فبماذا ترد على هؤلاء وهؤلاء ؟ ٠٠ وهل في تفسيرك للغموض حل للمشكلة ؟

جواب :

ــ مرة أخرى ، أستمهلك لتحديد المنطلق وتوضيحه، ولو كنا نبحث مشكلة الغموض ، لن أجعل كلامي في متجه السؤال الاول ، أعني قولك : « بماذا ترد على هؤلاء وهؤلاء » •• **فأنا عندما أشرح نظرتي أو نظريتي لا أرد على أحد وانما أمد بيني وبينهم جميعا أسلاكا تنقل الضوء منهم واليهم ••** أو جسورا تحمل من بحار أحدنا للآخر •• كل ناقد أو شاعر أو انسان عادي له رأي ، والعبــــرة الابداعية في تنظيم هذه الآراء ودفعها بصورة كلية يحسبها كل فرد من الافراد له ومنه ، أعني يرى صورته بها ، أو يكشف مسألته بين مسائلها ••

فقول غالي شكري : « ان الغموض الشعري يعزى الى تعقيد الحياة » ، قول صحيح ، اذا أخذنا حياتنا كما هي، فانها التشابك بين شؤون مختلفة من السياسة والثقافة والاقتصاد والتسلح والحروب ، والتحالف والتعادي ••

الشعراء والادباء، عموما، يصورون معاناتهم للحياة، وبينهم العلي الذي يسبر أغوار الحياة العصرية بالتحليل ويحلق في آفاق الحياة المقبلة •• ويقول شيئا عما خبره وهذا الذي يقوله قد يجيء غامضا غموض العمق أو غموض السطح •• وفي الشعراء كما في الناس طبقات ودرجات ••

أما اتهام أدونيس للقراء بالضعف الثقافي لانهم لا يفهمون القصيدة الحديثة •• فهو اتهام ناقص ، أعني أن الذين لا يفهمون القصيدة القديمة ، كذلك ضعيفون ثقافيا •• فمن يقرأ هوميروس أو شكسبير أو هيجو أو بوشكين أو طاغور •• أو الخيام وجلال الدين الرومي • أو أشباههم في عصور أدبنا العربي ، كامرىء القيس ، وأبي تمام ، والمتنبي •• والشعراء الشباب في عصرنا •• من يقرأ هؤلاء لا يمكن أن يفهمهم جيدا ما لم يكن مثقفا والثقافة ليست أمرا نظريا خارجيا ، بل هي معاناة داخلية، فالذي لا يستولد الرأي من الممارسة يظل بعيدا عن روح الفهم ••

روح الفهم هو الذي يصالح بين المتعصبين للقديم والحديث في الادب ، للقصيدة القديمة والقصيدة الحديثة• ان اتصال أي شكل تعبيري بجوهر القضية الانسانية التي هي مغامرة مستمرة لاكتشاف النفس واكتشاف العالم، هو **اتصال مضيء ••** وان هذا الاتصال ينبغي أن يثمــر تغييرا حقيقيا على مستوى الفرد والمجتمع والطبيعة •• وهذا معيار دقيق في معرفة الاصالة والجوهرية في أي شكل شعري حديث أو كلاسيكي ••

سؤال :

● **تعني أنت لست متعصبا للقصيدة الكلاسيكية أو للقصيدة الحديثة ••**

جواب :

ــ وكيف أتعصب وانا أعشق النور وأغامر لرؤية أشمل •• ان التعصب يثير في خاطري معنى العمى أو التعامي •• فالمتعصب هو من يضع على عينيه عصابة فيحتجب عن النور وعن الناس وعن الاشياء •• لا ياصديقي لست متعصبا لقديم أو حديث ، لانه قديم أو حديث ، بل أحب الجوهري الاصيل في كل قديم وجديد •• ان الجديد والحديث لا يلغيان التقليدي والقديم ، بل يثيرانه عندما يذكران ، فكل جديد يثير طباقا مع تقليدي •• وكل حديث يثير طباقا مع قديم ••

النظرية الجدلية هي التي تفسر معنى التعايش بين القديم والجديد في كل العصور ••

سؤال :

● **قرأت لك في « الموقف الادبي ، عدد ٦١ » ، الحوار القديم الجديد حول الشعر العربي الحديث •• وقرأت لك ، في العدد ذاته ، قصيدة حديثة بعنوان : «لا موت •• لا خيال» •• ألا يوحي هذا أنك في اهتماماتك أقرب الى الحديث •• ؟**

جواب :

ــ يا صديقي • أنا أحيا في العصر الحديث ، وأهلي في عصري يتحدثون لغة عصرية حديثة ، فكيف لا أتفهم لغتهم وأحاورهم بهـــا •• ؟ المسألة شكلية ، أعني أن الاختلافات الادبية اختلافات شكلية ، أي شكل الموقف وشكل التعبير عن الموقف ، لذلك وضعت عنوانا في الحوار الذي ذكرته سميته : « **الانسان مقياس المقاييس** » فربطت القضية الابداعية بالانسان ، لا بشكل المواقف القديمة والتعبير عنها ولا بشكل المواقف الحديثة والتعبير عنها •• القضية الابداعية الكبرى هي الانسان ، لذلك حررته في القصيدة من سجونه المحيطة ، فقلت في القصيدة : « لا موت •• لا خيال » ، أعني تموت صور كثيرة من البشر ويبقى روح الانسان خالدا يظهر في صور جديدة ، فالموت

الشكلي خيال كسقوط أوراق الشجر في فصل الخريف ،ان السقوط خيال ، وان البعث هو الحقيقة ، تتفتح أوراق جديدة ويولد أطفال جدد ٠٠ وهكذا ينتفي الموت والخيال على مستوى الابداع الاعلى ٠٠ كذلك في الشعر ، خيال وموت ، عند من يتعصبون ٠٠ ولا خيال ولا موت عند من رفعوا عن أعينهم العصابة واندفعوا في مجال النور يكتشفون آفاق المحبة وانفتاح السرور ٠٠

— ٥ —

الجمع بين الشعر والنقد والاخلاق

سؤال :

● أنت في القصيدة والحوار أجبت على سؤال كنت أحمله بين أسئلتي وهو :

« هل يمكن أن يجمع الانسان بين العمل الشعري والعمل النقدي » ؟

لقد أوضحت في تعليقك على قصيدتك وحوارك ،أنك كنت شاعرا في الحوار وكنت ناقدا في القصيدة ، أعني ظهرت لك رؤية واضحة للمسألة لها ألوان كثيرة ٠٠ لكنني لا أظن كثيرين يربطون هذا الربط بين عمليك ، فهل يعود هذا الى ما ذكرناه حتى الآن من المسائل التي يتداولها النقاد والمثقفون ، أعني : « الفجوة بين القارىء والشاعر ٠٠ الغموض والوضوح ٠٠ » ؟

جواب :

ـ الشمس لا تحاسب من لا يراها ٠٠ والنسيم لا يحاسب من لا يجدد حياة دمه بالتنفس ٠٠ والعطر لا يحاسب من لا يشمه وينعش نفسه به ٠٠

وكما في الطبيعة ، ينبغي أن يكون في الانسان ٠٠ المهم أن تشرق الشمس ، وأن يهب النسيم ، وأن يفوح العطر ٠٠ ولا بد أن هناك في كل زمان ومكان عشاقا للنور والهواء والعطر ٠٠ ان نسبة العميان والمزكومين أقل بكثير مما يظن ٠٠

يا صديقي المهم أن يبدع المبدعون بمحبة متسامحة ٠٠ المهم أن يرتفعوا فوق التجارة والمقايضة ، المبدعون لا ينقمون على الناس لانهم لم يدرسوا سر ابداعهم بسرعة ،أو لانهم لم يقدروا ذلك ويدفعوا لهم الثمن ٠٠ المبدعون يعرفون أنهم متميزون ، والتميز يتحلى بالصبر والاقتراب المحب من جماهير الشعب ٠٠ نحن نعرف صيحة الانبياء والمصلحين المشهورة : اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعرفون» ٠ أنا أقول « اللهم اغفر لقومي فانهم يعرفون » ٠٠ أعني أن مسامحة المخطىء ضرورة ، لكن مسامحة الذي يخطىء وهو يعرف فأكثر ضرورة لانه جهل مرتين ٠٠ والعارفون أطباء نفوس يعالجون أمراض الجهل بالصبر والحب ٠٠

— ٦ —

دافعت عمن هاجمني

سؤال

● هذا يعني أنك راض عن قرائك وعن أعمالك، فكيف وصلت الى هذا الرضى ؟ مع أنني سمعت من بعضهم اتهامات لك بالتعالي والتصوف ٠٠ فكيف نفهم أن ترضى عن أمثال هؤلاء المحرجين ؟

جواب :

ـ لا أدري يا صديقي ٠٠ تقول : ان بعض قرائي يتهمونني بالتعالي والتصوف ، وتسألني كيف أرضى عن أمثال هؤلاء المحرجين ؟

يكفي لارضى عنهم أن يكونوا من قرائي ٠ ان كونهم من قرائي يعني أنهم مهتمون بقضايا الانسان التي أهتم لها وأحل لمشكلاتها حلولا من ضوء العين وضياء القلب ،والقراء الذين يحلون ضيوفا على حروف تحررت من هذا الضوء والضياء ، كيف لا أحبهم واحترمهم ٠٠

قد ترى في هذا الكلام نوعا من المثالية ، وأن مثل هذا لا يجري بين الكتاب ومن ينتقدونهم عادة ٠٠ وأنا أقول : بل هذا من الوقائع أيضا ، لانه واقع أعيشه ٠ وأضرب لك مثلا :

ألقيت في ٣٠ آذار ، هذا العام ، محاضرة في اللاذقية، بعنوان : روح المسؤولية والمسؤلون ٠٠ وبعد المحاضرة دار نقاش يشهد بعلو مستوى الذوق ، وتحمس شاب لا أعرف اسمه عندما رأى حرية في المناقشة ، واندفع في الهجوم علي وعلى غيري ، وأطال الكلام وأنا أصغي اليه باهتمام واحترام ، لكن نقابة المعلمين التي دعتني لالقاء المحاضرة وكذلك الحضور لم يعجبهم تصرف هذا الشاب فطلبوا منه التحديد والاختصار فلم يفعل ، ولما اشتط مرة

أخرى طلبوا منه أن يكف عن الكلام وأرادوا أن يختتموا المناقشة بهذه الصورة القسرية ·· هل تدري ماذا دار في خاطري عند ذاك ، وهل عرفوا هم ماذا حدث لي ؟ هـل سرني ذلك ؟

كلا يا صديقي · لقد شعرت كان للبكاء أصابـع تمتد الى عنقي وتخنقني ·· شعرت بالحاجة للصراخ والبكاء عندما اسكتوه · لقد كبرت الصورة حتى بدت لي، انها حد من الحرية ، قد أكون مثاليا أيضا ، كما يبدو لك ، لكن هذا ما حصل ·· فلممت أجنحة صبري وطردت الدموع الخانقة ، وطلبت من مديرة الندوة الشاعرة هند هارون ، الكلام فسمحت لي ·· فماذا قلت ؟

لقد دافعت عن صديقي الذي لا أعرفه ، وحتى الآن، واعتذرت له بأن العبارة لم تكن بمستوى حماسته وأفكاره وان الموقف الذي وقفه قد يكون حرجا ·· ولا أكتم فقدشعرت أن أحسن شيء بلغته في تلك الجولة هو شجاعة الدفاع عن حرية هذا الانسان الذي جاء ليسمعني وتوصل في مناقشته الى ما تسميه تجريحا ··

نعود الى الاتهام بالتعالي والتصوف ، وهل هوتجريح؟

أنا لا أعتبر ذلك تجريحا ، بل أعتبره نوعا من جرالتفكير الى مستوى أفضل من الايضاح ، **فالتعالي** من العلو **والتصوف** من الصفاء ، والعلو والصفاء أقصى ما أطمح اليه في حياتي وفي كتابتي ، والذي يضعني بهذا انما يمنحني شعورا سعيدا بفهمه ··

سؤال :

● **يا دكتور أسعد ، انهم لا يقصدون من التعالي والتصوف هذا الذي تقصده أنت فالتعالي ، عندهم ، يعني الكتابة الخاصة ، أي أنت تتعالى على جماهير الشعب ، وهذه تهمة خطيرة في أيامنا ·· والتصوف ، عندهم ، يعني الحياة الخاصة ، أي أنت تعيش عيشا غيبيا ، وتطلق الاسهام في الحياة الدنيا ، ومن ذلك انصرافك عن الزواج مثلا ··**

جواب :

ـ قد تكون هذه آراؤك التي استجدها الحوار ، وقدتكون راغبا بالاثارة ، فأنت من محبي الثورة للمعرفـة ، أعني أنك تحب الثورة الثقافية وأنا أحب هذه المحبة وهكذا نندفع في اتجاه واحد لاريك مشاهد من التعالي والتصوف·

التعالي الثقافي ، عندي محاولة ارتفـاع بالنفس القارئة ·· أنا ولوع بالاعلى ، كل يوم أروض نفسي على معرفة جديد وممارسته ، وكل يوم أحاول أن أقدم لقرائي من جني رياضي شيئا جديدا ، لكي لا أخيب ظنهم بي ·· وأذت تعرف ألوانا من محاولاتي في سورية وفي غيرها من الاقطار العربية ··

والتصوف ، عندي ، هو ممارسة التعالي ، بتحديد آخر ، هو : ممارسة التجاوز ، وما التجاوز الا ما ندعوه التقدم ومعطيات التقدمية ·· لكنها التقدمية على خطوط مستقيمة في القول والفعل ، التصوف ، حتى في التعريف القديم ، تخل عن كل خلق دنيء ودخول في كل خلق سني» وقد أبرزت هذه الصور التقدمية في أكثر من كتاب طبعته انك تجد ايضاحا شافيا لذلك بصياغات مختلفة :

١ ـ في فن المنتجب العاني ، يأخذ **التصوف صورة المحبة بين معرفتين ··**

٢ ـ في : معرفة الله والمكزون السنجاري ، يأخذ صورة « **المعرفة : معاناة بين تصديقين ··**

٣ ـ في : الانسان والتاريخ في شعر أبي تمام ، يأخذ صور « **الحماسة للمثل العليا ··**

وعندي مؤلف لم أنشره بعد، عنوانه : **صفاء التصوف شجاعة الجهاد ··**

لقد أوضحت نظرية التعالي في كتـاب « الانسان والتاريخ » ونشرتـه منذ ١٩٧٠ ، وقدمت بينات جديدة لها في كتاب « المنابع والتجاوز » ، وهو بحث لم ينشر بعد·

ان القارىء الذي يقرأ أي كتاب ، أو أية مقالـة ، أو أية قصيدة لي ، يعرف أنني أتحرك للانسان في وفيه وفق « **نظرية التعالي** » وفي ممارساتها وفق تنفيـذ « **التصوف** » أعني **الشجاعة في الجهاد** من أجل الانسان ··

سؤال :

● **انك كشفت سرا عميقا من أسرار تصرفك وتفكيرك ، وأنا لا أزال أمعن في تتبعك لارى مدى رضاك عن أعمالك وعن قرائك ، وعمن يتهمك منهم بالتصوف الكسول الذي صرفك عن الزواج ·**

جواب :

ـ يا صديقي أنت تتهمني باسم قرائك وتتهم قرائي بسببي ·· وأنت تصرح بغرضك من هذين الاتهامين ، فهو الامعان في التتبع المثير لصالح المعرفة ··

التصوف الذي آمنت به ليس كسولا ، هو شجاعة جهاد من أجل الانسان ·· **والانصراف عن الزواج من**

مظاهر الانهماك الجاد وليس من مظاهر الكسل .. بين الحين والحين يخطر لي أن أتزوج ، وقد راقبت هذه الخواطر ، انها لا تجيء الا عندما يخف ضغط التفكير الجاد .. **العفة عن الشهوات عموما نوع من القرابين** التي يقدمها أصحاب النفوس العفيفة لمجتمعاتهم .. داود في مزاميره يسمي انكسار النفس ذبيحة تليق بالتقرب الى الله والى خلق الله ..

تعرفت الى **مسؤول من النبلاء** ، أدهشني ذكاؤه وحيويته الخلاقة .. فسألني هذا السؤال : لماذا لم تتزوج؟ أو متى ؟ .. فاجبته : يقول الحكماء : « اذا أعطيت العلم كلك أعطاك بعضه » .. فصحبة العلم المخلصة نوع من الزواج المنتج ، وللمعرفة لذة يعرفها العارفون .. وربما لخص المسألة قولنا الشائع : « بنات الافكار » فكأن الفكرة زوجة تلد بناته لها لمن يحبها ..

وعندما لقيت هذا العبقري ثانية ، قدمني بهذه المزية لضيوفه فقال « لقد أعطى نفسه للعلم فلم يتزوج ».

لقد فهم هذا النبيل العبقري أن الانصراف عن الزواج تضحية ومظهر جد ، ولم يقل انه مظهر التصوف الكسول ..

سؤال :

● لا أزال أعتقد أنك تدافع دفاعا ، وهذا يعني أنك متهم من قرائك أو من غير قرائك في هذه المسألة ، لذلك نطلب اليك التعرف الى أعمالك التي عملتها ونشرتها قبل عودتك الى الوطن وبعد عودتك اليه .. لنرى ان كان في ذلك ما يبرر انصرافك الى « العزوبية المتعففة » كما كنت تسمي جمعيتك قبل حوالي عشرين عاما .. فما مصير « جمعية العزوبية المتعففة » ؟

جواب :

ـ أنا راض عن القراء ، مهما اتهموا .. لكن المحزنين للقلب هم الذين لا يقرأون .. القراء يصلون الى الحقيقة في أنفسهم وفي غيرهم يوما ، اذا قرأوا قراءة حقيقية ، أعني قراءة تمهل وتدبر ومقارنة مع الوقائع السوية .. هؤلاء لا خوف منهم ، لان قراءتهم الذكية ترفعهم الى مستويات العلو والصفاء .. لكن البلاء فيمن يدعون المعرفة وهم يعرفون أنهم محدودون وقد يكون لهؤلاء أعذارهم في مهاجمة العارفين ، لكنها أعذار مرضية ينبغي أن تعالج بالحب والتعليم .

أما الرضى عن أعمالي ، تعاليا وتصوفا ، أعني : نظرية وممارسة ، فقضية أخرى .. رضاي هنا عن عدم رضاي بالتوقف عن البحث .. أعني لست راضيا عما توصلت اليه ولكنني راض عن الحركة المخلصة من أجل التوصل الى الصفاء العالي أو الى العلو الصافي .. في مأثور الحكماء ، « يبقى العالم عالما ما دام في طلب العلم ، فان ظن نفسه علم فقد جهل » ..

— ٨ —

ديوان النار ومنهج الكتابة

سؤال :

● نحن نعرف قليلا من أعمالك المنشورة بصورة كتب أو أبحاث مستقلة ، خلال غيابك عن وطنك .. وقد اطلعنا على أعمالك الجديدة التي تنشرها في الصحف والمجلات وتلقيها بصورة محاضرات أو مناقشات أو حلقات اذاعية .. فهل نستطيع معرفة المنهج التفكيري الذي تنوع به آثارك الفكرية والادبية ؟

جواب :

ـ انني أتصور مجتمع الانسان تصورا يجعل الانسان غاية والمحبة منهجا لبلوغ تلك الغاية ، وفي هذا المجال أفتح كل أعمالي ..

أول التفتحات كانت شعرا ، كما ذكر في مقدمتي الاثر الشعري الاخير : « **لانك حبيبتي** » .. ففي مقدمته ذكرت صلتي بالشعر وبالتربية المنزلية وأثرها على طفولتي ، فقد كانت مثيرة وملهمة .. أشرت الى **أربعة آلاف قصيدة (ص ١٤)** لا أعرف كيف اجتمعت لدي خلال ربع قرن من الحياة ، أي منذ كنت في الابتدائية ١٩٥٠ .. وأشرت الى التعامل معها .. وقد خطرت لي صورة جديدة من التعامل الجديد معها ، عندما قضيت **اثنين وسبعين يوما في ملجأ من ملاجىء لبنان** ، وذلك منذ ١٧ تشرين الاول حتى الخامس والعشرين من كانون الاول .. لقد بقيت طوال هذه المدة لا أنزل درجة البيت .. لحسن حظي كان ملجأي مكتبة ، وفي هذه الايام الملجأية **أعدت النظر بكل شيء وكتبت خلاصة**

لتأملاتي في : السياسة ، والدين ، والادب ، والفلسفة ، واللغة ، والتاريخ ، والحياة عموما ٠٠ وأما الشعر الذي عندي فقد خطرت لي بشانه خاطرة خطيرة ، وهي اعادة قراءته ، قصيدة قصيدة ، **وبعد القراءة تمزق القصيدة وتحرق في النار** ، وتاتي المرحلة الرابعة وهي قراءة النار الشعرية وكتابة ما تمنحه التجربة بعنوان : **«ديوان النار»** لقد نفذت قسما من الخمس(?) وأحرقت [illegible] وسبعمائة قصيدة، وكتبت شيئا عنها بعدما جئت الى دمشق ٠٠ ولم أتمكن من احراق الباقي من شعري في لبنان لابعثه في سورية ٠٠

سؤال :

● [illegible] تؤاخذني ، أن **عملك لا يذكر بأبي حيان التوحيدي فحسب ، بل يثير التساؤل حول تاثرك بالجو ، فاحراقك الشعر الذي كتبته خلال ربع قرن ، ماذا يعني ؟**

جواب :

ـ **في مقدمة « لانك حبيبتي » رأي تمهيدي لاحراق الشعر** ، يقول : الشعر شهادة أو حالة ذاتية ، روعتها أن تعاش كالبرق ٠٠ أما عندما تنشر وتحول الى أسلاك الاخراج ، لتضيء المنازل والاقبية والشوارع ، فانها تنزل عن روعتها وتصبح جميلة فحسب ٠٠ واذا كان نشر الشعر عملا انسانيا أحيانا ، فمن الانسانية كذلك أن نعيش مستوى ذواتنا وأن نكرم الشعر بالصمت الاعلى ٠ وقد يكون من ألوان الصمت الاعلى أن نقرأ القصيدة مرة واحدة في جو ابداعها ، ثم نحرق ما كتبناه ، لنظل شغفا بابداع الحياة الاتي ٠٠» (ص ٢٥ ـ ٢٦) ٠

هذا الرأي يحتاج ايضاحا شديدا ومتمهلا ، أدركته أكثر عندما نفذت قسما من التجربة ، شعرت أن القصائد المحترقة تترك أجسادها للنار وتعود أرواحها مبتهجة الى قلبي فامتلىء بطاقة خلق تدفعني الى آفاق رؤى جديدة ٠٠ وبدا لي أن بعث القصائد من الاوراق الى النفس هو غاية كل كتابة ،**لذلك أحاول ايضاح « الشغف بابداع الحياة الاتي » بأنواع الكتابة المختلفة** : شعرا ، وقصة ، ومقالة ، وخاطرة ، ودراسة ، وحوارا ، ومحاضرة ، وكتابا ، ورسالة ٠٠ ولا أزال مملوءا بنور النار الذي يفتح فصول الصمت بمواسم ومواسم أضع ثمارها بين يدي القارىء المبدع ، والقراءة ابداع ، أيضا ، عندما تملأ القارىء بحيويته الذات الطامحة الى التحقق ٠

ـ ٩ ـ

التعليم والتأليف لكل المراحل

سؤال :

● **شعرت ، بعض الوقت ، أنك ذاتي الى أبعد الحدود في شعرك ٠٠ ثم أدركت أنك تؤصل ذاتيتك وترفيها وتصقلها وتنقيها لتكون أكثر نفعا للغيرية ، أعني لتكون هدية هادية للآخرين ٠٠ فأنت تجرب على نفسك أنواعا من المعاناة لتنقل شوق التجربة وروح المعرفة الى القارىء٠**

فهل توضح لنا منهجك الكتابي ، من خلال كتبك النثرية ، وكيفية توجيهها للقارىء ؟

جواب :

ـ أنت تعرف أنني معلم منذ عشرين عاما ، فقد بدأت التعليم العام « البروفة » أي منذ ١٩٥٦ ، بدأت ذلك في حماه ، بمدرستين : خاصة ورسمية ، هما : الثانوية المحمدية الشرعية ٠٠ وثانوية الصنائع ٠٠ ثم في دمشق في ثانوية دمشق الوطنية ، والثانوية البطريركية ٠٠ ثم في بيروت في : ثانوية المقاصد الخيرية الاسلامية ، وثانوية الشوف الوطنية ، والروضة ، وبيروت العربية ٠٠ ثم في :الجامعة اللبنانية ٠٠ واليسوعية ٠٠ والعربية ٠٠ الخ ٠

هذا العمل التعليمي ممارسة حياة ، كنت قبلها أمارس نوعا من التعليم الخاص لاخوتي ، لانني أكبرهم ٠٠ وقد تسأل وما علاقة التعليم بالتأليف ؟

وهذا سؤال يجاب عليه بالتأمل في نظرية المعرفة ، ثم تعاد هذه الافكار بصور صياغية جديدة لتصبح ممارسة من جديد ٠٠

وهكذا شعرت ان ممارسة التعليم أخذتني في مجالات تاليفية ، كنت أشعر عندها بوجوب مسؤول ٠٠ **المسؤولية عن أبناء الناس شيء خطير ٠٠ اعطاء الفكرة لتغرس في ذاكرة الانسان وطبعه من أخطر أنواع الزراعة ٠٠** فهمت ان هذا مايسميه النقاد الادبيون:«**هندسة النفوس البشرية**» المعلمون والكتاب يهندسون النفوس البشرية ، الكتاب يقدمون النظرية والمعلمون يمارسون التطبيق ٠٠

لم أكن مرتاحا ، دائما ، لتعليم نظريات الكتاب لطلابي ، كنت أشعر أن ما يكتب ليس واقعيا ، وليس

ملائما لهؤلاء الطلاب في مثل هذه السن وهذا العصر ٠٠ وفكرت « بالتفصيل » أعني أن الافكار الجاهزة والكتب الجاهزة لا تحقق مطامح المعلمين ولا تحقق أشواق الطلاب ٠ فكتبت لطلابي ، وناقشتهم بما أكتبه في صفوفي ومنذ ١٩٦٤ بدأت بنشر بعض تلك الكتب التربوية ٠٠

سؤال :

● **هذا يعني أنك كتبت لكل مراحل الدراسة ، من المدرسة الابتدائية حتى التعليم العالي ؟**

جواب :

– كتبت للمراحل التي علمت بها ، لم أعلم في المرحلة الابتدائية تعليما عاما ، لذلك لم أكتب شيئا مدرسيا ، في هذا المجال :

كتبت للمرحلتين المتوسطة والثانوية ، ومما نشرلهما : كتابان في أصول الانشاء وكتابة الموضوع الادبي وتحليل النص الادبي ، بعنوان الطلاب أولا ٠٠ ثم ملاحظات بلاغية نشرتها بالاشتراك مع الاستاذ قاسم الجراح بعنوان: الاسلوب الصحيح في البلاغة والعروض ٠٠

في المرحلة الجامعية نشرت عددا من المحاولات في مجال: اللغة والادب والتربية ، أمثال : قصة القواعد ٠ تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي ٠ جذور العربية فروع الحياة ٠ صناعة الكتابة ٠٠ الانسان والتاريخ في شعر أبي تمام ٠٠ الطلاب وانسان المستقبل ٠٠ الشباب طاقة محركة خلاقة ٠٠ ومنها مشترك : كصناعة الكتابة ٠٠ وجذور العربية ، مع الدكتور فيكتور اكلك ٠٠ ومنها مشترك مع رؤساء الجامعات العاملة في لبنان : كالشباب طاقة محركة خلاقة ٠٠

وفي مرحلة التعليم العالي نحوت منحى التعليم المختبري ، أعني صار تعليم المنهج تدريبا عمليا على البحث، لم يعد ما يقال مطلوبا ، صار ما يحدثه القول في تكوين شخصية الباحث الحر هو المطلوب ٠٠ **لقد أعددت لطلاب الدراسات العليا مائة بحث نفذت اختبار معظمها معهم في أربع سنوات** ، وكان تنفيذ تلك البحوث تحت شعارات لكل عام شعار ،

فشعار ١٩٧١ – ١٩٧٢ : المنهج أمام المادة ٠٠

وشعار ١٩٧٢ – ١٩٧٣ : صناعة الكتابة من النظرية الى التطبيق ٠

وشعار ١٩٧٣ – ١٩٧٤ : قواعد الاحياء والتحديث

وشعار ١٩٧٤ – ١٩٧٥ : تربية باحثين أحرار ٠٠

وآخر ما نشر من هذه البحوث الاختبارية العليا اثنا عشر بحثا من بحوث السنة الاخيرة ، منها : مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة ٠٠ والمرأة في القواعد ٠٠

– ١٠ –

المرأة مادة مصفاة

سؤال :

● **بين الاسئلة التي أحملها سؤال عن المستوى الذي توصلت اليه المرأة على الصعيد الادبي ، فهل تناولت في كتابك هذا الموضوع ؟**

جواب :

– نشرت مجلة « المرأة العربية » (عدد ٩٢) حوارا حول كتاب بعنوان : **عندما تسطع شمس الحماسة المنهجية على المرأة العربية تبدع الامة كما تنجب الاطفال » ٠٠**

والواقع ، أن « المرأة في القواعد » فصل من كتاب لم ينشر ، هو : « **الحقيقة والمرأة** » ٠٠ وقد أظهرت جانبا من الصلة بينهما لمجلة الفرسان (العدد ٦٨) في حوار جلسة هادئة ، كما يسميها صاحبها الاديب الشاعر محمد عباس ٠٠

في الكتاب الذي لم ينشر باب للمرأة الاديبة والشاعرة والباحثة ٠٠ لكن « المرأة في القواعد » **فصل لتأصل المرأة** فالمرأة أصل الرجل أم فرعه ؟ هو من تراب وهي منه ، اذن **هي من مادة مصفاة** وهو من خام ، لذلك تظل المرأة صبوة للرجل ، بها يتحقق ويحقق ابداع الحياة ، تلك هي حقيقة الوجود ٠٠ وعبر صبوة الرجل لمادته المصفاة تتفتح معطيات الابداع في كل مجال ٠٠ وهذا موضوع تفصيله **طويل ٠٠**

مشروعان للغة والدراسات العليا

سؤال :

● **انك لا تميل الى التفصيل في الموضوع النسوي هنا ، ويبدو أن هذا الميل يتم هربك من المرأة في الواقع ، فأنت كما يستشف من مجمل أبحاثك ، تريدها صفاء حقيقيا ، لانها أم الوجود ، وكأنك تخشى أن لا تطابق صورتها الواقعية تصوراتك المثالية ٠٠ وأظنك بين الواقع والمثال تجاهد لتنتج للمجتمع العربي نموذج انسان أعلى ، فكيف نفذت جهادك الثقافي في أيامك التي قضيتها بعد العودة الى أهلك ؟**

جواب :

— جئت الى دمشق يوم السبت ١٩٥٧/١٢/٢٧ ، ولم أعد كما تقول ، لانني لم أعتبر نفسي غائبا ، فأنا كما يقول أبو تمام :

في الشام أهلي ، وبغداد الهوى   وأنا في الرقمتين، وبالفسطاط اخواني
وما أظن النوى ترضى بنا بدلا   حتى تشافة بي أقصى خراسان

أو كما يقول أبو الفضل المنتجب :

منها نحن شتى في البلاد ٠٠ فمشرق   لبعض أهالينا وللبعض مغرب ٠٠

من هذا المنطلق الوحدوي بعثت كل أعمالي ، وماقدمته في سورية بهذه الاشهر السبعة قدمته منها ولها في أقطار عربية أخرى ، وعن بلدان عالمية كبرى ٠٠

ونظرة احصائية الى مجموعة ما نشرته وما أذاعته ، في هذه الفترة ، يؤكد هذا **الايمان المبدأي بالوحدة العربية والانسان ٠٠**

أنت تعرف أنني نشرت أعمالا ثقافية في **ست مجلات سورية ،** هي : الموقف الادبي ، الاداب الاجنبية ، المناضل الفرسان ، المرأة العربية ، والثقافة ٠٠ ونشرت في جريدة **الثورة وملحقها الثقافي ٠٠**

ويذاع برنامج أسبوعي بعنوان : اللغة والحياة ٠٠ وجرت مشاركات في : الندوة الثقافية ، وفي برامج : قوس قزح ٠٠

وألقيت **محاضرتين** في المركز الثقافي بدمشق واللاذقية بعنوان : البداوة المنقذة ٠٠ وروح المسؤولية ٠٠

وناقشت رسالتي ماجستير في الفلسفة والادب ، الاولى لشاب فلسطيني بعنوان : فضيلة التربية المسكوية ٠٠ والثانية لشاب لبناني بعنوان : سهيل ادريس وقصصه ٠٠

مجموع هذه الاعمال **تسعون عملا ، منها ما هو مشروع لهذا العام سميته : من عالم المرأة الى عام المغة » أو عام اللغة ٠٠** هذا المشروع قومي — ثقافي ، أردت اللغة العربية به منطلقا لوحدة ثقافية تضم كل أصحاب الثقافة العربية ، بدءا من أصحاب اللغة العربية ٠٠ وقد شرحت المشروع وأيدته بفصول من كتب لم تنشر مثل : بواعث البعث ، الذي نشرت « في المناضل » ثلاثة فصول : في البدء الثورة ٠ في سياسة التربية ٠ في الفكر القومي ٠٠

ومن مؤيدات المشروع : برنامج اللغة والحياة ٠٠ ثم : البداوة المنقذة ٠٠ ثم : روح المسؤولية ٠٠ ثم : سلسلة من المقالات في جريدة الثورة ٠٠

ومنها ما هو مشروع للمستقبل سميته : ممارسة الثورة في الدراسات العليا ٠٠ وحاولت ايضاح نظرتي لهذا الموضوع الحيوي **بأساليب مختلفة منها الصمت والامل ،** فهل سمعت بصمت يشرح وبأمل يعمل ٠٠ يقول صاحب « بدوي الجبل » ٠٠

أعيد بابك من طول الوقوف به   فقر الكريم تجلى ، صمته طلبا ٠٠

منطلقي في هذا سؤال ، بل أسئلة أملتها ظروف الطلاب الذين يحبون اكمال أنفسهم بالدراسات العليا والحصول على الدكتوراه : لماذا لا يكون « قلب العروبة » هو النابض المحرك لهذه الدراسات ؟

سؤال :

● **ان الدراسات العليا تنشط في سوريا أخيرا ، وقد أقرت في كل جامعات القطر ، أثناء مؤتمر الدراسات العليا الذي دعا اليه رئيس التعليم العالي في القطر الدكتور رفعت الاسد ٠٠**

جواب :

— هذا ما جعلني أتخذ الصمت والامل أسلوبين في ايضاح مشروعي الذي رفعته الى المؤتمر ، ووزع على السادة المؤتمرين منشورا في جريدة الثورة بعنوان : « ممارسة الثورة في الدراسات العليا » ٠٠ والعنوان يبوح

بالمطالب ، فمطالب الدراسات العليا هي أن ننتقل من النظريات الى التطبيق وفق الشعارات الجميلة المرفوعة ، عنيت : الوحدة والحرية مثلا ..
وفي مجلة : المناضل ، والفرسان ، والثورة ، والاذاعة ، والمناقشات الجامعية .. أوضحت أفكار المشروع نزولا الى سياسة التربية بدءا من الحضانة ، وصعودا الى توجيه طاقات الشباب في جامعاتهم ومعسكراتهم وأعمالهم ..

— ١٢ —

مائتان وسبعون عملا في سبعة أشهر

سؤال :

● **هذه الاعمال المنشورة في مجلات القطر وصحفه واذاعته ووسائل اعلامه الاخرى ، هل تعتبرها قطرية أم قومية ؟**

جواب :

ـ لقد أكدت لك الوحدة بين مسائلي الخاصة والمسائل العربية والانسانية العامة ، فالذاتية الموهوبة العليا لاقيمة لها ما لم تكن غيرية التنفيذ والاثمار ، وعلى هذا النحو تقاس المسائل القطرية والقومية .. **فقوة قطر عربي مثل سورية تنعكس خيرا على بقية الاقطار ..** ويمكنك أن تأخذ ذلك من تجارب العائدين المنصفين من بلدان الدراسة في العالم .. من أمثلة ذلك :

حدثني الدكتور رياض هنداوي ، بعد عودته من ستراسبورغ ، عما يقال هناك ..

يقولون : « لماذا يتحكم بنا البدو ؟ لماذا يملكون البترول ونحن بحاجة اليه ؟ لماذا لا نبعث من يقتل أولئك البدوان ونستولي على منابع النفط كلها ؟

ويجيبهم آخرون منهم : وأين تذهبون بالسوريين ؟ان الفرسان السوريين يذبحونكم ذبحا اذا أردتم ذبح اخوتهم في بلدان البترول .. » ..

الفكرة المستنتجة من هذه الحكاية ، أن **التفكير القطري السليم هو تفكير قومي سليم ، وبالتالي هو تفكير انساني سليم ..** الفرد الذي يعد نفسه اعدادا عاليا يكون أنفع لمجتمعه ، والمجتمع الذي يبني وجوده بناء وحدويا متراصا يكون أنفع على مستوى الامة ، والامة التي يتحد أقطارها بحرية ومحبة تكون أقدر على نفع الانسانية ..

لذلك لا أعتبر ما نشرته في سوريا من أبحاث وقصائد ، قطريا أكثر مما هو قومي ، وقد لا يكون قوميا أكثر مما هو انساني ..

والنظرة الفاحصة للمادة تكشف ذلك وتؤكده .. **ومن جهة أخرى يتأكد هذا الاستيعاب ،** قوميا وانسانيا ، في بعض ما نشرته في الاشهر التسعة الاخيرة في سورية وخارجها من الاقطار العربية **كالسعودية والكويت والجزائر**

ففي « **مجلة الثقافة** » بدأت نشر كتاب عنوانه « **كوى الى آفاق الفكر الكويتي** » .. وهو بحث يتناول آثار أربعين شاعرا وناقدا ومؤرخا وفقيها من الكويت .. وفي « **مجلة الآداب الاجنبية** » بدأت نشر كتاب عنوانه « ايمان ماوتسي تونغ وتوحيد مائة شعب » .. أو **تربية ستمائة مليون حكيم في شعر من الصين ..**

فالاعمال التسعون التي نشرت في سورية خلال سبعة أشهر ، كانت من سورية ولها ، لكنها كانت عربية وانسانية أيضا .. **ومحاضرة روح المسؤولية** تجمع بين أشهر النظريات الكونية ، غربيا وشرقيا وعربيا ، على المستوى الدين والدنيا ..

وقد يكون مفاجئا لك ما أقوله ، وهو أن ما أذيع ونشر لي في هذه الفترة ، في اذاعات وصحف عربية في أقطار أخرى هو ضعف ما نشر وأذيع لي في سورية .. فقد بلغ مجموع تلك الاعمال مائة وثمانين عملا ..

— ١٣ —

المكافآت الاقتصادية مختلفة

سؤال :

● **خطر لي سؤال أتردد في طرحه عليك ، لانه شاذ في الجو الذي ترفع اليه محدثك ، فأنا أشعر معك منذ البداية انني في جو جديد : الانانية الخاصة فيه شبه منعدمة ، الكل والجزء في وحدة حميمة مخلصة صادقة . شهوة الربح الفردي فيه حيية لدرجة الاختفاء ، التراخي الاخلاقي الذي يبيح الانانية الخاصة مهزوم .. باختصار شعرت أنني في مجتمع الحب وشعرت أنني حر فيه وانني سعيد وقادر ، لانني الجماعة في واحد والواحد في جماعة .. ومع ذلك خطر لي أن أعرف شيئا عن مكافآت أعمالك التي نشرتها في سورية وخارجها لاعرف الفرق ؟**

جواب :

– يا صديقي ، في عبارة الانجيل قول جميل : « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة من كلمات الحق » ..

النص يحقق جوهرية الرغيف والكلمة .. وفي تراث العرب حكايات بديعة عن تقدير الفكر ، أعطى الرشيد ثلاثة ملايين درهم لمن يحدد له أحسن بيت قالته العرب في التشبيه وتمنى المأمون بيتين من شعر سحيم بدل ملكه .. وفي تراث الانسانية فضلت خارجية بريطانيا شكسبير على قارة الهند .. وحكايات وحكايات من عندنا ومن عند غير نا..

عصرنا عصر اقتصاد ، يقيسون كل شيء بالمال والمادة ، لذلك هو عصر قلق وخوف وتنافر .. أنا أقول : لا يحيا الانسان بدون خبز ، ولكن لايجوز أن نصبح نحن طعاما للخبز .. في عصرنا ، غالبا ، يأكل الخبز الانسان، أي تنقلب الآية وتصبح الوسيلة غاية ..

سورية تمر بظروف تختلف مثلا عن السعودية والكويت .. لذلك ، تكون المكافآت الثقافية متفاوتة .. ففي اذاعة دمشق تحسب الدقيقة بسبع ليرات سورية ، وفي الكويت تحسب بدينارين أي بأربعة أضعاف .. في مجلة سعودية قدموا لموضوع « البداوة المنقذة » أربعمائة دولار، وقدم لها اتحاد الكتاب السوري مائة وخمسين ليرة سورية..

— ١٤ —

شاعر مليونير يدعى العبد الفقير ..؟!

سؤال :

● **ما أربح عمل كتابي قمت به حديثا ؟**

– كتبت ذات يوم ثلاثا وثلاثين قطعة شعرية بصورة مناجاة ، فاعتمدتها اذاعة عربية ودفعت مكافأة تقرب من عشرة آلاف ليرة سورية ، هذا لعمل يوم واحد ..

جواب :

● **حتى في النواحي المالية يشعر محدثك بجوغريب ، يوم شعر بعشرة آلاف ليرة سورية ، وقصيدة واحدة مثل « لانك حبيبتي » بمائة ليرة لبنانية .. فانت أول شاعر مليونير أعرفه في عصرنا ، رغم زهدك بالمادة واتهامك بالتصوف والتعالي ، ورغم لقبك المشهور « بالعبد الفقير »،فكيف لو كنت تشتهي المال وتطمح فيه ؟**

– كنت أخسر الشعر والمال ، وأطالبك بثمن هذا الحوار لازيد ملاييني التي ذكرتها ..

يا صديقي ، قلت لك : ان الخبز وحده لا يكفي ..ولكن لا يحيا الانسان بدون خبز .. وقلت لك : ان وضعنا القطري يختلف من هذه الناحية فهم بحاجة الى الصواريخ التي تحمي وجودنا أولا .. وعلى المفكرين أن يبدعوا أساليبهم في الحياة لكي لا يكونوا عالة على مجتمعهم ..

ان هذه النقطة تحتاج لونا آخر من البحث ، وفي جو آخر، ومن مستويات الفكر كلها: في المدارس والجامعات والمؤسسات التي تعني بالثقافة عموما وخصوصا ..

— ١٥ —

ليت قومي ..!؟

سؤال :

● **شكرا لصبرك على أسئلتنا الفضولية التي تدخلت بخصوصيات هي لك وحدك .. وشكرا لعطائك ، فتسعون عملا في سورية ، ومائة وثمانون عملا خارج سورية في سبعة أشهر يعني أنك في سورية أكثر دفعا وأعمق تأثرا ، على صعيد الوطن ، وعلى صعيد الامة ، وعلى صعيد الانسانية ..**

جواب :

– بل شكرا لك لاهتمامك بالثقافة والمثقفين وولعك بتتبع الحركة العقلية ، هنا وفي الوطن العربي وفي وطن الانسان العالمي ..

ان الثقافة عملية تقوم حياتي ، لذلك تكون خدمة الثقافة خدمة لحياة الانسان ، ورب فكرة صائبة تنفذ في حياة شعب تكون أبقى وأفعل من صاروخ موجه يعبر القارات .. فليت قومي يعلمون .. وليت قومي يعملون اذا علموا .. وليت قومي يقتنعون بأن القراءة بداية وبأن الصدق والمحبة صراط مستقيم الى الغاية التي هي ، بعد كل حساب ، خير الانسان ونفعه ، كل الانسان ..والذي لا ينفع بلاده فماذا يستطيع لغيرها .. ؟

سؤال :

● **بقي عندي سؤال أخير حو أزمة نشر الشعروحول أزمة الشعر .. فما رأيك ؟**

جواب :

– العالم كله في أزمة ، بكل ميدان ، فلا غرابة أن يشارك الشعر والنشر بالمواطنة العالمية .. وعلى المستوى الشخصي لا أرى الازمة في شيء اذا حرر الانسان من أزماته بالحرية والمحبة ..

لماذا جفّ النهر ؟

مقبولة الشلق

كانت المدينة تستريح هانئة في حضن الجبل القديم قدم الدهر . ولم تكن مثل مدن العالم أبنية ضخمة ، قصورا شاهقة ، أسواقا كبيرة ، شوارع عريضة ... انها بساتين وأشجار وأنهار ، بيادر وظلال ، بيوت وحارات ، وأزقة ضيقة وأسواق مسقوفة ...

كان النهر يدخل المدينة في سبعة فروع متفرقة . الاول منها يجري في سفح الجبل ، فيروي أشجار اللوز والاس والنارنج والكباد ... والثاني يتهادى في البساتين الكثيفة بين أشجار الجوز والمشمش والخوخ والدراق ... والثالث يجري وسط المدينة حاملا اسم النهر الاصيل ، وعلى ضفتيه بنيت الدوائر الرسمية والابنية التجارية ... أما بقية الفروع فتتهادى بين الحقول والبساتين بين أشجار الحور والصفصاف ، بين الحارات والبيوت ، وجميعها تروي المدينة بسخاء كبير .

بيوت المدينة مبنية من الحجارة والتراب والخشب . غرفها واسعة ، جدرانها عريضة سميكة مطلية بالكلس ، سقوفها خشبية تبدو فيها جذوع شجر الحور ، شبابيكها كبيرة ونوافذها كثيرة . وفي داخل كل بيت فسحة تدعى « الديار » تطل عليها الشمس نهارا ، وتستقبل القمر ليلا ، تتوسطها بركة مضلعة يتدفق منها ماء النهر من أفواه السباع بخرير هادىء ، تزينها قناديل المليلك والياسمين وثريات العنب وأشجار الليمون ...

أهل المدينة يعيشون في ود وصفاء ، يشربون من مياه النهر العذبة اللالاءة ، ويزرعون القمح بأيديهم يطحنونه في طواحين النهر ، ويأكلون منه خبزهم الشهي ... يسلقونه وينشرونه على سطوح البيوت لتجففه أشعة الشمس وليهيؤوا منه مؤونة السنة من البرغل .. وكثيرا ما تملا الامهات منه صحونا عند سلقه فيحلينه بالسكر ويزينه بقلب الجوز وحب الرمان ، فيطعمنه أولادهن وضيوفهن ...

جميع أهل المدينة يعيشون أسرة واحدة . يهدي أبو خليل الى جاره باكورة بستانه من المشمش البلدي، فيرد له جاره باكورة الدراق الزهري ... تقرع أم سعيد باب جارتها ليلا تطلب منها ليمونة حامضة من شجرة الدار تفرك جبين صغيرها الذي تغلي الحمى في جسمه ، فتعطيها جارتها ليمونا وقطعة قمردين لتلصقها على بطنه قائلة : ليس مثل القمردين ما يخفف حرارة الحمى ... والاطفال يلهون يتسابقون في أرجاء البساتين ، يغردون مع الطيور ، يهيمون مع الفراش ، يسبحون في الانهار ، يتراشقون بمياه السواقي ، يتسلقون الاشجار ويحفرون على جذوعها أسماءهم .. يداعبهم الغراب صائحا قاق .. قاق .. يجيبه الاطفال قاق ارم لي جوزة ، والغراب صديقهم دائما ، وكثيرا ما يلبي طلباتهم ، يقطف جوزة من أعالي أغصان شجر الجوز ويلقيها اليهم ، فتصل الجوزة الى الارض وقد تكسرت قشرتها بهدوء فيلتقطها الاطفال فرحين ...

الخصب والخير يعمان المدينة ... سلال التفاح والكمثرى والخوخ، أكياس الكوسا والباذنجان والفاصوليا والخس والكرنب ، صناديق المشمش والعنب والبندورة تتكدس جميعها في السوق ويشتري الناس منها بأرخص الاثمان ما يشتهون ، ولا أحد منهم يعد نقوده ويفكر طويلا في حيرة قبل ذهابه الى السوق ... لكن هذه الهناءة لم تدم كثيرا في مدينة البساتين . لقد أوكل على فئة من أهاليها تنظيمها فكانت قاسية القلب حرمتها نعمتها هذه . والعامة تقول من أقدم الازمان : « دود الخل منه وفيه » . لقد فكرت هذه الفئة كثيرا لتجد طريقة تملا بها خزائنها بالنقود أكثر من أن تفكر في هناء أهل المدينة . واجتمعت وائتمرت وقالت : لنبن بيوتا من الطراز الحديث ، بيوتا ذات طبقات وعندما يتضايق الاخ من الاقامة مع أخيه وأمه وأبيه ، يشتري شقة ويعيش وحده فيستريح ... وتشاوروا في المكان الملائم لهذه الابنية ...

قال أحدهم : لنبنيها على الجبل .

— الجبل للفقراء ... والفقراء يبنون بيوتهم بأيديهم لتستقبل الشمس ، ولا حاجة بهم الى أبنيتنا ..

— لنبنها اذن في السهل خارج المدينة ...

— ان من يقطن خارج المدينة ليس كمن يقطن داخلها ...

— اذن نزيل البساتين ، ونفتح طرقات وشوارع عريضة ، ونشيد الابنية الحديثة ونبيعها أو نؤجرها بباهظ الاسعار ...

ولم يمض زمن طويل حتى قطعت الاشجار ، وقلعت المزروعات ، وزالت البساتين ، فهاجرت البلابل والحساسين ، واختفى الخروف والعجل ، ولم يعد

الغراب يحلق ويلقي بالجوز للاطفال ، وغطيت الانهار بسقوف من الاسمنت والحديد ، فحجب عنها ضوء الشمس ونور القمر ، وارتفعت طبقات البناء تضم بيوتا كثيرة ، وأضحت المدينة الفيحاء مثل مدن العالم مجموعات ضخمة من أبنية الاسمنت ، وشوارع عريضة تحمل أسماء جديدة لا صلة لها بأسماء البساتين القديمة .

حزن النهر الذي يدخل المدينة بفروعه السبعة حزنا كبيرا وانقطع عن الجريان ...

بكى الاولاد الصغار الذين كانوا يسبحون في فروعه ، وينتقلون مع الضفادع في سواقيه بكاء حارا . وتلهفت الصبايا اللواتي كن يقمن أعراسهن في فسحات البيوت ويعقدن للعروس حول البركة حلقات الرقص .. وان الشيوخ أنينا موجعا عندما عاشوا في بيوت ذات سلالم طويلة ... وندبت العجائز أيام زمان عندما كان الانس والحبور يعمان البيوت ، والخير والبركة ينتشران في كل شيء ... وندم الرجال عندما وجدوا أنفسهم يركضون بعناء ويلهثون ولا يأكلون خبز القمح من التنور ، ولا يملؤون بيوتهم بسلال وصناديق من محاصيل البساتين ...

لكن الاطفال لم يألفوا الحياة بلا نهر ، فطلبوا من أصدقائه القدامى من أشجار وأطيار ، وكل من هده الحزن لفراقه ان يذهبوا جميعا الى النبع ليشكوا له ما أصابهم من أحزان والام لعل قلبه يرق ويعود الى الجريان ...

فذهبوا جميعا ، وحملتهم الازهار من قلوبها عبيرها الصافي رسالة حب . ولما وصلوا الى سفح الجبل في غرب السهل بدأ النبع هادئا ، فرحب بهم وفرح كثيرا وقال : أهلا وسهلا بأحبائي وأعزائي .

فقالوا له بلهفة :

« نهرنا العزيز ! نحن بشوق اليك ، والى فروعك السبعة تجري في مدينتنا ، الى سواقيك اللألاة تنساب في بساتيننا ، الى مائك العذب يتدفق في بيوتنا . لقد عمنا الحزن لفراقك ونحن لا نفتر عن البكاء .. لماذا جفوتنا ؟ وانقطعت عنا ؟ ألم يحن قلبك الى أحبائك في البساتين ؟ ...

أصغى النهر اليهم جميعا وقال بحنان كبير :

« اشربوا من مائي أولا فاني أراكم في عطش شديد » .

شرب الاطفال حتى الارتواء ، وغطست الاسماك حتى الغور ، ونقنقت الضفادع بأعلى صوتها ، ومد الخروف فمه ليرتوي ،وزقزقت العصافير وكانت مناقيرها مبتلة بالماء ، وتمايل الحور طربا ، وبلغت الانسام أشواق النبع وحبه للازهار وصاح الديك معلنا بهجته وفرح الجميع أنهم في لقاء مع النهر العزيز ...

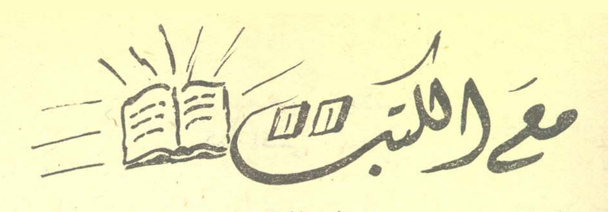
قال لهم النبع : « أحباتي الاعزاء !.. أراني خلقت من أجلكم ، ولا يطيب لي العيش بعيدا عنكم . ما أسعدني عندما كنت أتهادى بفروعي السبعة وسواقي بينكم ، يهنا بي الصغار والكبار ، والرياحين والازهار ، والدوالي والاشجار ، والخروف والاطيار . كانت الصبايا يفتحن لي بيوتهن بيتا بيتا ، يستقبلنني ببشاشة ورحابة صدر من أفواه النوافير والسباع ، فكم شهدت أعراسهن ، وكم سعدت برقصهن ، وكم شاركتهن المرح والحبور في نزهاتهن في البساتين .. كانت الشمس ترسل لي دنانير الذهب كل نهار ، والقمر يسبح في مياهي طوال الليل ، والانسام تدغدغ وجهي صباح مساء ، وسحائب الغمام تظللني وتظللكم بغلالة من الندى والقطر ، فتبعث الرطوبة ، وتمنع القيظ والجفاف . كنت أعمل مع الكادحين ، وأسهر مع الساهرين ، وأحلم مع العاشقين . كانت مياهي لألاة وحصاي براقة ، فكانت مدينتكم الفيحاء تشرب منها وتستحم وتهنا ، فمن بساتينكم وخمائلكم وسحائبكم يزداد فيضي وعطائي ...

لكن هؤلاء القساة جنوا علي وعليكم فعكروا صفو مياهي ، فهجرتني الضفادع والاسماك ، وحل بي البعوض والذباب،وبنوا لي سجنا من الاسمنت والحديد، فحجبوا عني النور والضياء ، فقلت مياهي ، ورتعت الجرذان في أحضاني ، وليت الخطب وقف عند هذا الحد، لقد قلدهم صديقي الفلاح ، وحذا حذوهم فقلب لي ظهر المجن ، هجر العيش في الضاحية وآثر السكن في البيوت الحديثة ، فهدم البساتين والحقول التي كنت أرويها بمياهي ويغذيها بكده وعرقه ، ويحيطها بحبه ورعايته ، وبنى مكانها مصانع تنشر دخانها الاسود الكثيف فتفسد صفاء الهواء ، وترسل هديرها الثقيل فيملأ أجواز الفضاء ، وتلقي نفاياتها في مياهي . لقد حرمني الهواء النقي الصافي ، وأنغام الناي يرسلها رفيقي الراعي ، وبدوت عكرا قذرا بعد أن كنت رقراقا سلسبيلا . وبتم ترونني يلحقني الاذى أينما سرت ، ويمسني الضر حيثما اتجهت . فلا دامت حياة في السجن والقذر ، ولا عاش الذل والامتهان ...

وبعد يا أحبائي أتسألونني العودة والجريان؟!..

بكى أحباء النهر جميعا بكاء مرا ، وبكى معهم النبع فسالت دموعه وكونت نهرا صغيرا حزينا ، فسقت أصدقاءه الذين يعيشون في البساتين المتبقية في مدخل المدينة ... وجفت فروعه السبعة ...

مقبولة الشلق



جيش التوشيح

تأليف الوزير لسان الدين بن الخطيب ـ حققه وقدم له وترجم لوشاحية هلال ناجي ـ أعد أصلا من أصيلة محمد ماضور ـ مطبعة المنار بتونس ـ عام ١٩٧٥ ـ ٦٤ صفحة مقدمات ٠ ٣٠٤ صفحة ٠٠٠

بقلم
محمد عبد المنعم خفاجي

ـ ١ ـ

في أسلوب شعري مؤثر رفيع يحدثنا الاديب العراقي الكبير هلال ناجي عن قصته مع لسان الدين بن الخطيب الوزير (٧١٣ ـ ٧٧٦ هـ) وكتابه « جيش التوشيح »، وذلك في آخر مقدماته التي صدر بها هذا الكتاب(صفحة أب ، أج ، أد) ، وتحت عنوان :« كيف ولد المشروع » فيقول فيما يقول :

أ ـ الفجر في لوشة(1) يفتق أزراره ، ويشق حجبه وأستاره ، والزمن ليلة من خريف عام ١٩٦٣ ، وعربي من أقصى الشرق من عراق العرب ، كان آنذاك ممثلا دبلوماسيا لوطنه في اسبانيا ، قد استعصى عليه النوم ، لقد أمضى الليل كله وهو يبحر في شعر لسان الدين ابن الخطيب وموشحاته ، فلما آذن الليل بالرحيل وانطفا بريق آخر كوكبة من نجومه ، كان خيال ابن الخطيب يطوف به من كل ناحية ، ورقيق من موشحاته آت من البعيد البعيد ، عبر الزمن ، وعبر المحن ، يذوب في سمعه ، وينداح في قلبه معا وفي تلك اللحظات ولدت فكرة البحث عن « جيش التوشيح » وتحقيقه ونشره »٠

ب ـ « الربيع في المغرب يبسط ظله الوارف في كل مكان ، والزمن عصر يوم من مارس ١٩٦٧ ، وأنا واقف على قبر ابن الخطيب عند باب المحروق في فاس ، وكان البحث قبل ذلك قد يسر لي الظفر بنسخة خاصة من « جيش التوشيح » ، قطعت مرحلة في تحقيقها ، ولقد كان يراودني أمل في أن أظفر بنسخة أخرى من الكتاب ، ضمن كنوز مخطوطات القصر الملكي بالرباط التي كانت قيد الفهرسة ٠٠ فلما قرأت الفاتحة على قبره خيل الي ان ابن الخطيب قد اطل من وراء الحجب وان ابتسامة سرور وعرفان لاحت على وجهه ، فلما عدت الى تونس بذلت جهدا ضخما متواصلا ، حتى تعود نسخة الزيتونة المستعارة الى موضعها فنفيد منها » ٠٠٠

وهكذا كان ٠ هذا الحب للتراث ، والجهد في البحث عنه والجد في نشره هو آية الايات في هذا الزمن ، وعند أديبنا الكبير هلال ناجي ، ومن منا الذي يقرأ هذا الاسلوب الرفيع ـ الذي يصور فيه هلال حياته مع لسان الدين وكتابه تصويرا مؤثرا رفافا ـ ثم لا يبكي ولا يعيش بقلبه وروحه مع هلال ورحلته الطويلة مع « جيش التوشيح » ٠

ـ ٢ ـ

ولقد يسر البحث الدؤوب الجاد لاديبنا هلال ناجي نسختين مخطوطتين من الكتاب ، الذي كان يعد بمثابة المفقود ٠

الاولى : مخطوطة حسن حسني عبد الوهاب ، وعدد ورقاتها ٦٣ ، أي ١٢٦ صفحة ، وهذه النسخة مكتوبة بخط مغربي دقيق قديم ، يعود الى ما قبل أربعة قرون ٠

والنسخة الثانية : مخطوطة الزيتونة المحفوظة في الاحمدية برقم ٤٥٨٣ وعدد صفحاتها ١١٠ صفحة ، وهي منسوخة على الاغلب في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، وقد أوقفها أحمد باي على الجامع الاعظم ـ الزيتونة ـ عام ١٢٥٧ هـ ٠

ومن كلتا النسختين أفاد هلال ناجي في المراجعة والتحقيق ، حيث أثبت مواضع الخلاف بين النسختين في جدول مستقل ، وأثبت التعليقات في آخر الكتاب ٠

أما خطته في التحقيق فقد تحدث عنها في المقدمة بتفصيل ، فقد قام صديقه محمد بن ماضور بقراءة مخطوطة حسن حسني عبد الوهاب ، وفك غوامضها ، ثم أملاها على كاتب كتبها نظرا لدقة خطها المغربي وكثرة أخطاء ناسخها ٠

ومن حيث قام هلال ناجي بمراجعة هذا الاصل وتصحيح أخطائه وأعاد المراجعة على نسخة الزيتونة بعد حصوله عليها ، وكان قد بدأ في طبع الكتاب ٠

ثم رقم الموشحات بحسب تسلسلها في المخطوطتين، وراجع نصوص الكتاب على المصادر المتاحة له ، وشرح بعض ألفاظها الصعبة وترجم لوشاحي الكتاب ، وكتب مقدماته ، وألحق به الاستدراكات والفهارس المنوعة ، وقام بجميع ماتستتبعه تحقيق الكتاب ونشره من جهود ٠

(1) لوشة : احدى منابت المجد العربية في الاندلس أنها قرية صغيرة، تقع على مسافة ٥٥ كم غربي غرناطة، بها ولد لسان الدين بن الخطيب عام ٧١٣ هـ ٠

— ٣ —

ويضم الكتاب ١٦٥ موشحة لستة عشر وشاحا هم : ابن بقي — الاعمى التطيلي — الابيض — ابن اللبانة — ابن رافع رأسه — البطليوس — الكميت — ابن شرف (الحفيد) — أبو القاسم المنيشي — يحيى بن الصيرفي — الخباز — الجزار — ابن لبون — ابن رحيم — ابن ينق — ابن زهر (الحفيد) — أحمد بن مالك السرقسطي .

وهم من وشاحي القرن السادس الهجري ، وقد ترجم هلال ناجي لهم في آخر الكتاب ترجمات ضافية ، تعد كتابا قائما بذاته على جانب من الاهمية كبير ...

وفي آخر الكتاب استدراكات قيمة على بعض الموشحات ، وهي الموشحات رقم ١٩ و٢٤ و٧١ و٩٠ .
وفي مقدمات الكتاب تحقيقات رائعة كتبها هلال ناجي حول نسبة بعض الموشحات ، وهي الموشح رقم ٣ و١٩ و٢٠ و٢١ و٢٦ و٩٠ و٩٧ ... وهي تحقيقات متميزة بدقتها : ومن نماذجها مثلا استدراك على الموشح رقم ١٩ ، قال

أوله — الموشح —
أدركنا أكواب
ينسى بها الوجد

واستصحب الجلاس
كما اقتنى العبد(١)

نسبه ابن الخطيب للاعمى التطيلي ، وكذلك ورد في ديوانه نقلا عن كتاب « جيش التوشيح » وقد ورد هذا الموشح في « دار الطراز » لابن سناء الملك ، دون أن ينسبه لاحد . وفي « العذارى المائعات » أنه لابن بقى وأرى أن الدليل الداخلي يعزز أنه لابن بقى ، ممدوح ابن بقى الشهير .(٢)

وفي آخر الكتاب يستدرك على رواية الموشح برواية فيها بعض تغييرات .

— ٤ —

ويتحدث هلال ناجي في المقدمات التي صدر بها الكتاب عن أهميته وعن موضوعه وما ألف فيه.(٣)
كما يتحدث في أول الكتاب عن حياة الوزير لسان الدين بن الخطيب الذي تولى أبوه الوزارة لبني الاحمر واستشهد عام ٧٤١ هـ ، وصعد ابنه لسان الدين الى مرتبة الوزارة ، وكان له من الجاه والنفوذ والتلاميذ مالم يكن لاحد غيره(٤) وانتهت حياته بغضب ملك بني الاحمر السلطان محمد عليه ، بعد أن وشى الواشون به عنده ، وهرب ابن الخطيب الى عبد العزيز الموبني ملك المغرب عام ٧٧٣ هـ ، وسعى ملك غرناطة لدى ملك

---

(١) هذا الموشح نجده في صفحة ٢٩ من كتابنا (جيش التوشيح) .
(٢) هو أمير « سلا » بالمغرب الذي قصده ابن بقى من الاندلس ، وأقام في ظله .
(١) راجع ص ٢٧٩ جيش التوشيح .
(٢) صفحات: ص ، ق ، ر .
(٣) صفحة : ع ، ف ، ص .
(٤) وزير ليوسف بن اسماعيل النصري وأصبح كاتبه ، ثم وزير لابنه محمد بن اسماعيل الذي تولى العرش عام ٧٥٥ هـ . وفي عام ٧٦٠ هـ تولى الحكم أخوه اسماعيل ابن اسماعيل بعد ثورة دامية ، فحبس ابن الخطيب وصادر أمواله ، وجماعي سلطان المغرب أبي سالم المريني أطلق سراحه وذهب هو والسلطان محمد الى فاس عام ٧٦١ هـ . وفي عام ٧٦٣ هـ عادا معا الى غرناطة بعد أن استرد السلطان محمد عرشه . وفي عام ٧٧٣ هـ ترك الاندلس وعاد الى المغرب مغضوبا عليه لوشايات أذاعها أعداؤه لدى سلطانه ، فعاش في ظل السلطان عبد العزيز المريني .

المغرب لتسليم ابن الخطيب له فأبى وتولى محمد بن عبد العزيز المريني عرش فاس عام ٧٧٤ هـ مكان أبيه وقد صنع صنيع والده في رفض تسليم ابن الخطيب لملك غرناطة ، وتولى عرش فاس السلطان أحمد بن أبي سالم المريني عام ٧٧٥ هـ ، وقد وافق على تسليم ابن الخطيب ، وحضر وزير بني الاحمر والجلادون من غرناطة الى فاس ، وأصدروا حكمهم على ابن الخطيب بالاعدام ، وفي سجن فاس قتل ابن الخطيب بعد اتهامه بالزندقة ، وذلك في نهاية عام ٧٧٦ هـ .

وفي حديث هلال ناجي عن كتب ابن الخطيب يبلغ غاية الدقة والاحاطة والعمق والشمول والاستقصاء لآثار ابن الخطيب المطبوعةوالمخطوطة والتتبع لاوهام الكتاب والدارسين لتراث هذا المفكر الاندلسي الكبير.

— ٥ —

ولا يمضي المحقق في عمله العلمي دون أن يقف وقفة متأنية من أجل التحقيق من اسم الكتاب ، ومن نسبته الى مؤلفه ، (١) وما اذا كان قد وصل الينا كاملا أم لا ،(٢) وهو يرجع أن المنشور من الكتاب هو جزؤه الاول فقط أما جزؤه الثاني فمفقود .

وفي المقدمات التي صدر بها المحقق الكتاب يذكر الفروق بين مخطوطتي الكتابفي الخرجات الاعجمية،(٣) ويدلي برأيه في هذهالخراجاتفيالموشحات الاندلسية،(٤) ويناقش آراء المستشرقين فيما ذهبوا اليه عن نظريات حول ذلك ، ورأيه في هذا الموضوع رأي سديد ومقنع ومنصف معا،يجب أن يقرأه الباحثون والنقاد باهتمام.

— ٦ —

وابن الخطيب يبدأ كتابه بمقدمة موجزة غاية الايجاز ، ويبدو أن فيها جزءا محذوفا ، حيث يبدأ كتابه ، بعد حمد لله والصلاة والسلام على رسوله،بقوله:

« ورتبت الكتاب ترتيبا لا يخفى أحكامه ، وبوبته تبويبا يسهل فيه دراسته ... الخ » .

والظاهر ان هنا كلاما محذوفا يتقدم على قوله : « ورتبت الكتاب » ، يدور فيه الكلام حول التفكير في تأليف كتابه « جيش التوشيح » .

وبعد المقدمة الصغيرة يبدأ ابن الخطيب بالحديث عن ابن بقى وموشحاته التسع .

— ٧ —

ومن كل ذلك نستطيع أن نؤكد في ايجاز شديد ما يأتي :

أ — هذا الاثر النفيس يعود الفضل في العثور عليه وتحقيقه ونشره الى الاديب العراقي الكبير هلال ناجي

ب — وهو وثيقة أدبية فريدة في موضوعه ، ويعد من نوادر كتب التراث، وأهميته في باب الدراسات الاندلسية لا تخفى على أحد .

ج — والجهد الذي بذله المحقق العلامة في اعداده للطبع جهد رائع ، ونادر ، وفوق الطاقة .

د — ولقد كان المحقق أمينا كل الامانة ، ودقيقا في منتهى الدقة وباحثا موسوعيا في غاية الاحاطة والشمول ، في مراجعاته وتحقيقاته وفوائده الكثيرة الغزيرة في الكتاب .

هـ — وعمل المحقق في الكتاب يدلنا على مدى أصالة الجهد المبذول فيه ، وعلى انسان متمكن محب للتراث ، معتز بعروبته وأمته .

و — وانني لا أملك الا أن أهنىء هلال ناجي بهذا الجهد الكبير الذي يعز مثله على كثير من الباحثين والمحققين .

محمد عبد المنعم خفاجي

---

(١) راجع الصفحات : ك ، ل ، م .
(٢) الصفحات : خ ، ذر ، ض ، ظ ، غ ، لا .
(٣) الصفحات : أ ع ، أ لا ، ب أ .
(٤) راجع الصفحات : أ أ ، أ ب .



الدفاع عن المقر العام

• هان آيك سو •

جبل (هونغ تو) يرتفع ألفي متر فوق سطح البحر ، ومنه يمكن الاشراف على قمة جبل (شويي بينغ) وعلى جبل (سان دينغ فانغ) في الشمال ، ومنه يسيطر النظر على مشهد هام لجبل (بوتاي) وعلى عدد كبير من قمم الجبال الاخرى ، المرتفع منها والمنخفض ، وعلى الوديان السحيقة وعلى أحراج كوريا الكثيفة في الجنوب الشرقي ·

وجبل (بيك دو) الحرام الذي ينتصب كالعملاق في أقصى شمال الوطن ، ساحر فاتن أجمل من الجبال الاخرى جميعا · فغابات جبل (سوبيك) الكثيفة البكر، وقمة (بيه كيه بونغ)وقمة (تشونغ بونغ) جميعها تقع على مدى الصوت ·

وكان جبل (هونغ تو) عزيزا جدا على قلوبنا لقربه من أرض الوطن ، ولقد وصلناه في مطلع شتاء ١٩٣٦ · وأقيم في تلك الفترة عدد كبير من المعسكرات السرية حول (هيه سياتسوكو) وحول جبل (هونغ تو) بعد أن التحق الجينيرال (كيم ايل سونغ) بجنوب غرب جبل (بيك دو) ·

هناك كان المقر العام لجيش الثورة الشعبية الكورية ، وهناك وضع الجينيرال (كيم ايل سونغ) مخطط عمليات وحدات الانصار ، ونظم الاصلاح في منظمات الاتحاد العاملة على اعادة بناء الوطن ، وتولى شخصيا ادارة الاعمال الرامية الى توجيه المنظمات الثورية نحو الوطن ·

ومن هنا أرسل الى جهات مختلفة عددا كبيرا من العاملين في السياسة بعد أن استبدلوا بملابس عامل أو فلاح ملابسهم العسكرية ·

وقد أصبحت القاعدة هنا في جبل (بيك دو) قلب الثورة الكورية ، ودخل الكفاح مرحلة جديدة من دفع عظيم على دروب رسم الجيبيرال (كيم ايل سونغ) خطوطها الثورية ووضع خططها الحربية ·

وقد أقلق الامبرياليين اليابانيين تقدم جيش الثورة الشعبية الكورية في المناطق المحيطة بجبل (بيك دو) ، ونمو القوى الثورية بسرعة مضطردة ، فبادروا الى عقد مؤتمر (تو مين) الشهير ، بين الحاكم العام لكوريا وقائد جيش (كانتو) ، في تشرين أول ١٩٣٦ · ثم حاولوا بأسلوب جنوني مسعور (ذبح) قواتنا الثورية بتركيز قواهم وبالسعي لـ (تطهير) المقر العام ، مقر الجينيرال (كيم ايل سونغ) ـ دماغ الثورة الكورية وركنها الركين ـ وقد شن العدو في سبيل تحقيق ذلك هجمات الشتاء الانتقامية وحشد لها قوة هامة من جيشه ومن شرطة (الاراغوز) المنشورية الهزيلة وزجها في تلك العمليات اضافة الى القوات النظامية من جيش العدوان الامبريالي الياباني ·

تلك كانت فترة ولادة القصة الشهيرة : « تكبد الطغاة اليابانيون افناء جماعيا في جبل (هونغ تو) » ·

وعقد الجينيرال (كيم ايل سونغ) ذات يوم من شباط ١٩٣٧ مؤتمرا في معسكر جبل (بيك دو) السري وأعطى قبل مغادرته تعليمات مفصلة لعناصر القيادة الباقين في المعسكر السري في جبل (هونغ تو) بتعزيز حراسة المعسكرات السرية وتدعيمها ·

وتبعا لاوامره وتعليماته فقد التحقت وحدة بقيادة الرفيق (اود جونغ هوب) الى المعسكر السري في (هييه سيا تسوكو) لحمايته من العدو ، وأبقى ما يقارب العشرين من الرفاق بادارة قائد المجموعة الرابعة في المعسكر السري في جبل (هونغ تو) لحمايته·

وتنفيذا لتعليمات الجينيرال فقد قام أولئك الذين أبقوا في المعسكر السري في جبل (هونغ تو) بتجميد أكوام الثلوج العميقة ليجعلوا منها خنادق مؤقتة من الجليد الصلب ، وقطعوا أشجارا وغرسوها داخل أكوام الثلج في الاماكن قليلة التشجير،حيث لا يتوفر الا القليل من المخابىء ، فغدت تشبه غابة طبيعية شبها تاما · ثم نظمت حراسة قادرة على مجابهة كل احتمال ·

كان الرفيق (بيك هيك ريم) وقتئذ ، وأنا وبعض الرفاق نواكب رفيقنا القائد نحو مكان المؤتمر .

وبعد أربعة أيام عاد الرفيق القائد من المؤتمر الى المعسكر السري في جبل (هونغ تو) بعد ظهر الرابع عشر من شباط ١٩٣٧ .

وبينما كان قائد السرية الرابعة يعرض على الجينيرال تقريره عن الاوضاع خلال فترة غيابه دوت فجأة طلقات في مركز الحراسة ، واندفع على الفور وأحد من الانصار الى الداخل ، وأعلم الرفيق القائد بأن قوة معادية هامة مقبلة نحونا على طول ذرى الجبال .

وكانت عاصفة ثلجية هوجاء قد هبت فحالت دون تمكن عناصرنا من الحرس كشف الاعداء في الوقت المناسب . واشتبكوا معهم في معركة ضارية . لقد كان الموقف حرجا بل ومحزنا كذلك .

وعندما تلقى الجينيرال (كيم ايل سونغ) النبأ قال ان العدو لا شك قادم من (اير هتاو كانغ) ، وأمرنا بالقيام باستعدادات سريعة للقتال ، وبالتسلق على طول الذرى التي كان العدو مقبلا منها ، وباحتلال مواقع على الزاوية الجنوبية من جبل (هونغ تو) .

وتحقق تنبؤه اذ تأكد أن أولئك الذين شوهدوا من مراكز الحراسة أعداء من القوات التأديبية وقوامهم خمسماية رجلا ، كانوا قادمين من (اير هتاو كانغ) .

وكانت قواتنا الرئيسية متوجهة وقتئذ نحو المعسكر السري الثاني ، وجميع الباقين في المعسكر السري في جبل (هونغ تو) لا يتجاوز عددهم العشرين رجلا بما فيهم رجال وحدة الحراس والحجاب .

الا أن تصميمنا على حماية الرفيق القائد كان على أصلب ما يمكن أن يكون .

واحتل الرفاق المواقع المحددة وتتبعوا تحركات العدو بنظر ثاقب ، وكانت وجوههم مشرقة تنم عن تصميم أكيد على خوض معركة فاصلة . وتفقدوا مرات عديدة كل قنبلة كانت بحوزتهم وكل فشكة لكي يكونوا على أتم الاستعداد لضرب العدو ضربة سريعة دقيقة .

وقد أخفى بعض الرفاق تحت الثلج كل ما من شأنه أن يعيق حركتهم عند الاقتضاء .

علينا أن نحمي الرفيق (كيم ايل سونغ) ، قائد ثورتنا ، حتى ولو كلفنا ذلك أرواحنا وبأرواحنا سوف ندافع عن المقر العام ، دماغ الثورة الكورية وأركانها العامة ـ قرار التزمنا به وعقدنا العزم على تحقيقه .

لقد كانت قلوبنا في الحقيقة مملوءة بالايمان باننا كنا قادرين على التغلب على أي كان من الصعوبات والمحن جميعا ، بالطريقة التي كان الجينيرال (كيم ايل سونغ) ـ البطل القومي والقائد الكبير ـ قد قاد الشعب الكوري عندما تزعم الثورة ، كذلك كانت قلوبنا مفعمة بالايمان بان الثورة الكورية لن تنتصر الا بقيادته .

كان رجال الحرس يضربون العدو ضربا متواصلا مستمرا متنقلين من مكان الى آخر ، ويتقدمون عبر الثلج وعليهم تمويه أبيض ، وقد عصبوا مواسير بواريدهم بعصبات بيضاء .

كان الرفيق القائد يدرس كل حركة يقوم بها العدو ، وكان يقرأ العزم القتالي المفعم بالثقة على وجه كل واحد من الرفاق . ثم استدعي اليه قائد السرية .

وأعطى أمرا جديدا ، والبسمة تغطي وجهه الصبوح كله ، وكنا ما أن ننظر الى الرفيق القائد هادئا هدوءا تاما بأعصاب باردة ، حتى تتملىء قلوبنا بالايمان به ايمانا لا يحده حد وبثقة أكيدة بالنصر .

كان واضحا جليا أنه قد نضجت فكرة خطة عملية عسكرية لاحباط محاولة العدو المتهورة اليائسة ولافنائه .

«... افسحوا المجال للعدو ، بلغوا الرفاق في مراكز الحراسة الامر بأن يتخلوا عن مواقعهم ، وقولوا لهم بأن ينزلوا في البداية على طول ذرى الجبل لبعض الوقت ، حتى يتمكن العدو من مشاهدتهم ، ثم يلتفوا ويهبطوا الى أسفل الوادي .

كان الرفيق القائد يرمي من وراء أمره جلب جنود الاعداء نحو طريق لا مفارق فيه ، على زاوية منحنية وعرة صعبة ، فتؤدي أي خطوة خطأ يخطوها جنود العدو الى انقلابهم ضمن الثلوج العميقة الكثيفة خلال وقت أقل من القليل ، وذلك بغية تمكيننا من افنائه في هذا المكان ، ودفع من يبقى من الاعداء على قيد الحياة ويهاجموننا بعدئذ ، الى أسفل الوادي الحصين فنبيده فيه . وازددت ثقة اذ أدركت هدفه ، وقلت في نفسي : اننا قادرون على ابادة العدو ! والنصر لنا ! وأحسست بعزم جديد قد نما في كياني ، حتى أن التمويه الابيض الذي كنت أحمله قد بدأ وكأنه يتطاير على كتفي في الهواء .

ولم نتوقف عن الرقابة لحظة ، متبعين تحركات العدو ، واختبأنا في غابة كثيفة ضخمة الاشجار واختفينا عن أعين الاعداء . ثم انتشرنا على قوس دائرة مقابل الطريق الذي كان على رجال الحرس نزوله ووقفنا متأهبين على أتم استعداد لفتح النار .

كان جنود العدو ممن تسلقوا الجبل يطلقون النار بوحشية على عناصر الحرس المتراجعين ورغم العاصفة الثلجية الهوجاء ، كنا قادرين على تمييز تحركات العدو بوضوح وجلاء كما لو كنا نقرأ في راحات أيدينا .

كان عساكر العدو يتخبطون في الثلج نحو قمة الجبل ، وكأنهم عصبة من الذئاب • وهناك قاموا بحركات متنوعة ، فمنهم من أخذ يصيح كما لو أنهم سلموا وانتصروا ، وآخرين كانوا يلوحون ببواريدهم ويهزونها في الهواء •

وفي النهاية نظر ضابط حوله بمنظار وأمر وحدته بنزول الجبل باتجاه المكان الذي كنا نكمن فيه • وكان هدف العدو ملاحقة عناصر الحرس ممن تخلوا عن مواقعهم في الجبل ، تماما كما توقع الرفيق القائد •

وسقط العدو في الفخ الذي نصبه له الرفيق القائد ، وراح جنوده يهوون ويتدهورون ويتخبطون في عمق الزاوية الوعرة •

« أتدرون أين أنتم أيها الاشقياء ؟ الجينيرال (كيم ايل سونغ) موجود هنا ، قائدنا الملهم ، انكم ترتعشون لمجرد سماعكم باسمه ••• انكم تحصدون الموت بالجملة أيها البلهاء » • كنا نحس بهذه الفكرة تتأجج في قلوبنا ونحن نرمي العدو بنظرات حانقة غاضبة.

وباشرنا بحصاد جنود الاعداء في الوقت المناسب •

وكانت رشتنا الاولى ضربة صاعقة أدهشت العدو، وقد حصر اهتمامه بالبحث عن عناصر الحرس الذين تراجعوا أمامه خلال العاصفة الثلجية •

وسيطرت على الاعداء بلبلة وعم فيهم اضطراب وراحوا ينزلون نحو الاسفل بفوضى لا مثيل لها • وما هي الا لحظة حتى كان عدد كبير منهم قد حصد حصدا • وقتل الذين كانوا في الطليعة جميعا ، وأما الدين كانوا خلفهم فقد سيطر عليهم الهلع والذعر واليأس ، لا يدرون ماذا يفعلون ، فامتلات الزاوية بجثثهم •

على أن الاعداء الشياطين لم يكونوا ليرتدعوا طوعا ، فقد حاولوا عبثا أن يتغلبوا على ما سيطر عليهم من يأس في تلك الزاوية الوعرة ، اذ راحوا يكررون صيحة « الى الامام » واحتدمت المعركة وحمي الوطيس، وقام العدو بهجمات متتالية دون أن يحسب للخسائر حسابا •

كانت رشاشات العدو الثقيلة والخفيفة من خلفه تلفظ النار بغزارة في محاولة يائسة لتغطية العناصر المهاجمة وحمايتهم • وهنا جرح قائد المجموعة الرابعة، فأمر الرفيق القائد ــ وكان دائم العناية برجاله بحنان أبوي أمر أربعة من الانصار بنقل الجريح الى المستشفى في المؤخرة على الرغم مما كان عليه الموقف من حرج وخطورة •

وغصت حناجرنا لهذا المشهد •

« علينا أن نعاقب العدو بمزيد من الضراوة دون شفقة ولا رحمة ، وعلينا أن ندافع عن الجينيرال (كيم ايل سونغ) وأن نحمي زعيمنا الاب » على ذلك جددنا العزم والتصميم •

والان فقد تضاءل عددنا وانخفض الى خمسة عشر تقريبا بما فيهم الخمسة الذين ذهبوا الى المؤخرة ولكن ضرباتنا على العدو قد ازدادت قسوة •

وفي النهاية ، بلغ الاعداء جميعا عقر منحدر الزاوية الوعر يدوسون فوق جثث بعضهم • وفي سفح الجبل حاولوا اعادة تنظيم صفوفهم وأخذوا تشكيلة قتالية للاستيلاء على مواقعنا بهجمة واحدة • الا أن طبيعة جغرافية المكان قد أجبرت العدو على المرور عبر الممر الضيق في الثلج الكثيف والاقتراب من مواقعنا •

والان ، وقد وقع في الفخ تماما ــ نتيجة خطة الرفيق القائد المحكمة البارعة ــ فقد أصبح العدو « كالفار » في المصيدة •

وأخيرا حاولوا الهجوم تحت حماية نار الرشيشات ولكنهم لم يجنوا من ذلك الا مزيدا من الخسائر أكثر فأكثر في كل هجمة • وتحت وطأة ضربات الانصار القاضية سيطر على العدو ذعر متزايد كلما تقدم به الزمن •

وبهذا الوقت بالذات ورد من الرفيق القائد أمر بايقاف النار • لقد أعطى هذا الامر لان الاعداء قد أجبروا المدنيين الذين حملوهم على نقل مؤنهم ، بأن يتقدموهم كحرس يحميهم من رصاصنا فتتاح لهم فرصة الفرار وانقاذ أرواحهم القذرة من براثن موت محقق أكيد • ذلك كان سبب اعطاء الرفيق القائد أمره الى الرجال بوقف اطلاق النار •

فاستغل العدو فترة الهدوء هذه وأطلق ساقه للهرب مسرعا •

وسقط تشكيل العدو في فوضى كبيرة واختل انتظام من بقوا أحياء من جنوده وراحوا يفرون متفرقين يصدم واحدهم الاخر لا يهدف الا النجاة بنفسه وانقاذ جلده •

واستفاد الرفيق القائد مما سيطر على الاعداء من ارتباك وفوضى ، فأمر الانصار بالهجوم فورا وكان من العسير اطلاق النار على الاعداء وهم بين المدنيين ،

ولكن الانصار كانوا بواقع يمكنهم من غرس حرابهم في قلوب الاعداء بضربات أكيدة صريحة واضحة لا لبس فيها .

وكان رجالنا اشبه بالبرق ، وهم يطاردون الاعداء والرياح تخفق في تمويههم الابيض . وكان الاعداء يتساقطون في كل مكان يلفظون انفاسهم الاخيرة .

كان معظم الاعداء الذين استجروا الى الفخ قد ابيدوا بعد المعركة القاسية ، واما الذين بقوا منهم احياء فقد أسرعوا في الفرار مستعجلين .

وبعد أن هدأ الليل أستاره امر الرفيق القائد الانصار بكشف مخابيء الاعداء المنهزمين وبابادتهم هم أيضا .

وتنفيذا لامره فقد انطلقت مجموعة هجومية وعثرت على بعد ما يقارب ١٥ خمسة عشر (ري) (الري يساوي ٣٩٢٧ ميترا في النظام الميتري) ، عثر على خيام منصوبة فوق الثلوج الكثيفة واستلقى فيها الاعداء وقد أعياهم التعب ، ولم يتمكنوا من الركض والابتعاد أكثر من ذلك .

ولم يشعلوا نارا مخافة هجومنا عليهم ، واستلقوا تغطيهم ملابس المدنيين ممن حملوا لهم مؤنهم وتجهيزاتهم .

وكان بين المدنيين الذين جندوا عنوة في ذلك اليوم أولئك الذين وضعوا في العربة لخدمة العدو فانقذهم أنصارنا . الا أن عددا كبيرا من المدنيين الاخرين كانوا لا يزالون هنا يعانون من العدو ، يمشون خارج بعض الخيام جيئة وذهابا في الثلج وهم يرتعشون من شدة البرد غير قادرين على العودة الى منازلهم مخافة فتك خفراء العدو وبطشه .

وكان الاعداء قد احتفظوا بهؤلاء المدنيين خارج خيامهم ووضعوهم تحت الرقابة ليجبروهم على حمل مؤنهم وتجهيزاتهم من جديد ولانهم يخشون أن يبلغونا عن تحركات وحداتهم واستشاطت عيون رفاقنا غيظا لهذا المنظر ، وتوزعت الفرقة الهجومية الى عدة مجموعات واقتربت من خيام العدو .

« كبدوا العدو مئة قتيل ، كبدوه ألفا .... »

وانتقوا في البداية تلك الخيام التي لم يجدوا بقربها مدنيين وركزوا نيرانهم عليها ليمكنوا الناس من الفرار . وبهذه البرهة هرب من جديد قسم من الاعداء .

ولكن حتى هؤلاء المتهورين فانهم لم يتمكنوا من النجاة وانقاذ أرواحهم .

وما أن تلقى الرفيق (أود جونك هوب) ورجاله ـ وكانوا بذلك الوقت قد توجهوا نحو المعسكر السري الثاني ـ تقرير دورياتهم معلنة أنهم قد عثروا على جمهرة من الناس على الطريق المؤدي الى المعسكر السري في جبل (هونغ تو) ، حتى أسرعوا الى المكان مجتازين عددا كبيرا من الـ (ري) ، والتقوا في الطريق بالاعداء المنهزمين . وتعاونا معهم وضيقنا على الاعداء وحصرناهم في ممر ضيق وابدناهم كالجرز في المصيدة .

وقد رأينا مدى تشوق الرفيق (أود جونك هوب) ورفاقه في العلاج للاطمئنان عن سلامة المقر العام . وعندما وصلوا كانوا منهكي القوة .

وضاقت الحناجر لما أمسكنا بايديهم ، وعندما أبلغوا بالخبر السار بان الرفيق القائد كان سالما معافى فقد شدوا على أيدينا ثم أخذونا بالاحضان والدموع في مآقيهم . واطلقنا الهتافات في الثلج مرات ومرات وقد غصت حناجرنا لشدة تأثرنا .

والحقيقة ان الرفيق (أود جونغ هوب) وآخرون من الانصار أعداء اليابانيين كانوا قد دافعوا عن المقر العام للثورة حيث كان يعمل الجينيرال (كيم ايل سونغ) باخلاص واضح معرضين أرواحهم للخطر ، حتى في تلك الايام العصيبة المشحونة بالمخاطر الجسيمة والصعاب المتعددة ، كانوا لا يفكرون ، ليلا ولا نهارا الا بسلامة المقر العام حيث كان الجينيرال (كيم ايل سونغ) ، حتى عندما كانت (القوات الانتقامية) تطاردهم ، مصممين بعناد لا يترددون في التضحية بأرواحهم في سبيلك .

فما الذي مكننا من قهر العدو في ذلك اليوم وهو يتفوق علينا عدديا تفوقا كبيرا ، وما الذي جعل الرفيق (أود جونك هوب) ورفاقه في السلاح قادرين على قطع مسافة عدد كبير من الـ (ري) دون أن يلتقطوا أنفاسهم ليسحقوا وحدات العدو التي كانت تهاجم مكان وجود مقرنا العام ؟ لقد كان قلب أحمر وحيد ـ الروح المتأججة للقتال الفياضة بالاخلاص للثورة المصممة على الفداء في سبيل حماية الجينيرال (كيم ايل سونغ) ، زعيم ثورتنا الكورية العظيم ، مدعمين قيادته الفذة الحكيمة ، وكذلك حب للوطن وللشعب لا تحده حدود .

ولم يتمكن العدو من أن يسد علينا الطريق رغم محاولاته ومناوراته اليائسة وعدد رجاله المسلحين لاننا كنا نسير ونحن مسلحون بأفكار الجينيرال (كيم ايل سونغ) الثورية العظيمة بعناد وتصميم متماسكين من حوله متحدين بصلابة كصلابة الفولاذ ، مدعمين ما يسطره من خطط حربية يعدها باتقان .

والان فاننا بكل فخار وتصميم نجدد العهد من جديد على أن نحمي بأرواحنا اللجنة المركزية لحزبنا ، بقيادة الجينيرال (كيم ايل سونغ) .

رسائل الأصدقاء

الى أدباء من حماه :

– الدكتور وجيه البارودي
– الشاعر سعيد قندقجي
– الشاعر وليد قنباز
– الشاعر عبد القادر حداد
– الشاعر اسماعيل عدرا – السلمية ...

كانت الايام التي مضت على وجودي في ربوع حماه من الايام الخالدة التي سأظل أعيش على ذكراها مدى العمر ... لقد عشت بينكم متمتعا بالجو السحري الذي خلعته الطبيعة المعطاء ، مزدانا بأجواء الشعر والادب .. وكم كنت أود ألا تنقضي بسرعة تلك الايام التي شهرت حفاوتكم الكريمة وتقديركم للادب ومنتدياتكم العامرة . والتي تترك في النفس انطباعا عذبا يصعب وصفه . والتعبير عنه . يصطحبه الزائر معه ليحكي عنه معجبا مأخوذا واعترافا بالحق والفضل.

لقد حلقت عاليا يا طبيب النفوس . ويا شاعر الكلمات المجنحة .. كنت شاعري وطبيبي كما قلت عنك منذ وقت مضى .. كنت أمير الغزلين وسيد الشعراء الوصافين . في شعرك رحلة عمر حافل بالذكريات والعبر . وفي روحك الاف ألوان الرحمة والحب تمنحها البشر ... وانني أسأل الله أن يمد في عمرك لتزيد في دوحة الشعر غناءا وتغريدا ...

لقد كنت مع الشاعر المبدع صاحب الصور المبتكرة سعيد قندقجي الذي صور سقوط الحضارة في شعر رائع فريد يشهد له بتطويع قياد الشعر وانه قد استوى على لسانه سحرا حلالا طيبا .. وكنت مع الشاعر وليد قنباز شاعر الاغاريد الحلوة والبسمات البريئة التي يرسمها على ثغور فلذات الاكباد (بثينة . وبشار . وأنس) حلما مبرعما بالزهر ...

أجل كنتم أنتم الثلاثة كنجيمات تتألق في دجى ليل حالك فتملا الدنيا بهجة ونورا ... وعبد القادر حداد. شاعر الروح وأشواقها . شاعر الملحمة – بدر – الخالدة ... فقد كانت أشعارك بلسما للافئدة التي برحها الهوى على دروب الصبابة .. سبحنا معك في عالم روحي لم تدنسه أوهام الحياة وأوضار المادة . وطفنا المدى على جناح قصيدة ...

وكانت السلمية . البلدة الوادعة التي تنام في أحضان البادية . تعبق فيها روائح الطيب والعرار وكان شعر الشاعر اسماعيل عدرا كأطياف الحب تحمل العاشق على أوتار ربابة جذلى وتلقي به بين بساتين الزهر وظلال المحبة . وكان شعرك – يا شاعري – صدى لانات القلوب الثكلى . شاهدنا في قصائدك بيروت بالكلمات . كالصبية الولهى المسربلة بدمائها تنتفض (انتفاضة العصفور بلله القطر) وترقص رقصة الديك المذبوح ...

وكانت حماه بنواعيرها وجمالها وفتياتها .مزرعة من مزارع الجمال وروضة من رياض الشعر . فهنيئا لكم يا شعراء المدينة المسحورة هذا السحر والجمال . تنامون على بوحه . وتستقبلون الصباح على مغانيه ..

محمد قرانيا – أريحا

في رحاب الغرب

جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية ـ قوة صناعية عالمية كبيرة

منذ أكثر من نصف قرن ، تشكل الامكانية الصناعية لجمهورية تشيكوسلوفكيا الاشتراكية عنصرا دائما وهاما للتجارة العالمية . ونجاحات المنتجات الصناعية التشيكوسلوفاكية في الاسواق العالمية لم تكتسب بطريقة عرضية . فالمستوى العالي للانتاج مكفول كفالة ثابتة من قبل الخبرة التي تعود الى أوائل الثورة الصناعية الاولى كما ومن قبل مبادىء توجيه الاقتصاد الاشتراكي التي تتيح نفعا فعالا وقويا لموارد البلاد المادية وللتقدم التقني والفكري للمنتجين ـ العمال والفنيين والمنظمين والعلماء .

وفي تشيكوسلوفاكيا الحالية ، تشكل الصناعة فرعا موجها للاقتصاد الوطني . فهي تساهم في خلق دخل قوي يزيد عن ٧٠ ٪ . وخلال السنوات الخمس وعشرين الاخيرة ، سجلت الصناعات الميكانيكية ، وهي القسم الرئيسي الاكثر فعالية من الصناعة التشيكوسلوفاكية ، الزيادة الاسرع . وقد أدخلت في نفس الوقت تبديلا نوعيا هاما وحصلت على قاعدة واسعة قوية علمية وخاصة بالبحوث العلمية . وتظهر التجديدات التي قدمتها الصناعات الميكانيكية التشيكوسلوفادية عمليا كل يوم وهي : استخدام المواد الجديدة ، وتخفيف الصناعات ، وادخال نظام الحركة الذاتية الاكثر كمالا في الالات ذات الاستعمال الفريد ، والطلب عن طريق برنامج له رموز لمجموعات التوظيف الاكثر أهمية كما وللاختراعات الثورية ، مثل آلة النسيج النافورية التي بدأت عصرا جديدا لصناعة النسيج .

ويصدر أكثر من نصف الالات ـ العدد المصنوعة في تشيكوسلوفاكيا . فالشاحنات القوية . ماركة تاترا التي ارتفع انتاجها خلال السنوات الاخيرة بفضل مساعدة مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة للتمكن من ارضاء جميع المهتمين مفضلة جدا عادة . ومعامل زافودي ف.ي لينينا في بلزن (سكودا) وزانودي فيتيزنيهوا اوتورا في هراديك كرالوفي تورد مجموعات التوظيف التالية وهي : تراكيب المراكز الكهربائية ، ومصافي للبترول الخام ، ومعامل سكر ، ومعامل جعة ، وخطوط لصنع السجائر ، وتراكيب الصناعات التعدينية والكيميائية . والاسواق العالمية تحبذ أيضا محركات الاحتراق ديزل ، وطائرات الرياضة ، وآلات البناء والجرافات النهرية ، والقوارب النهرية وآلات النسيج ، والالات الاسكافية ، وتراكيب القياس ، ومنتجات المواصلات ، والمحركات الكهربائية ومجموعة منسقة غنية من المنتجات الكهربائية التقنية ، ومضخات ماركة سيغما ، وأدوات نقل ، وآلات زراعية وغيرها .

وفيما يتعلق بنصيب الانتاج الميكانيكي للفرد الواحد من السكان ، تشغل تشيكوسلوفاكيا منذ زمن طويل جدا واحدا من المراكز الاولى في العالم ، فعن طريق الانتاج الميكانيكي تعدمن بين القوى العشر الكبرى في العالم . وهذا المركز يتحسن بلا انقطاع ، وخاصة خلال السنوات الاخيرة عندما حدث تجديد وتحديث أسرع بكثير من التنسيق المقدم في الاسواق العالمية عن طريق التكامل والتعاون المنتشرين في اطار بلدان مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة .

من الواضح ان الصناعات الميكانيكية ليست هي المصدر الوحيد للصادرات التشيكوسلوفاكية والعامل الوحيد للتوازن والصفة الحديثة للاقتصار التشيكوسلوفاكي الوطني . وينسب رجال الاقتصاد حديثا دور القوة الدافعة للاقتصاد الحديث الى الصناعة الكيميائية ان الاكتشافات الثورية والامكانيات المحدودة

للصناعة الكيميائية لجعل جميع نشاطات الانتاج أكثر فعالية يخولهم للوصول الى مثل هذه النتيجة • وليس نصيب الصناعة الكيميائية التشيكوسلوفاكية في خلق الدخل القومي كبيرا مثل نصيب الصناعات الميكانيكية لكن هذا لا يعني أن أهميتها تنال تقديرا أقل من الواقع • تشيكوسلوفاكيا لها ثلاثة تقاليد غنية أيضا في هذا النوع ، وخاصة في الكيمياء الصناعية المسماة الثقيلة وفي انتاج الاسمدة الاصطناعية للزراعة • فالطور النسبي لمخطط الاقتصاد الوطني والتعاون مع بلدان المعسكر الاشتراكي قد أتاحا ايجاد مصادر للمواد الاولية والوسائل الضرورية لما تشغله الكيمياء في التركيب الفعلي للاقتصاد التشيكوسلوفاكي من مكانة تخصها بحق • وفي آن واحد مع تحديث المنتجات الكيميائية التقليدية حدثت أيضا اقامة ذات شأن للمعامل المختلطة ، وهي متطلبة من الناحية التقنية ومن وجهة نظر التوظيفات والتي تشكل في هذه الايام قاعدة واسعة للكيمياء الحديثة تتجه نحو صناعة المواد الجديدة ونحو استخدامها، ونحو تحقيق أعمال الصنع الكيميائي، وذلك يعني مرحلة جديدة في الاقتصار الاجتماعي • وقد وجدت المواد البلاستيكية تطبيقها في جميع فروع الانتاج والاستهلاك • ان وفرة الالياف الاصطناعية تسهل استعمالها حتى خارج صناعة النسيج ، والكيمياء قد أتاحت زيادة وتحسين نوعية الانتاج التقليدي للورق كما والتطور الضخم لصناعة الادوية غير التقليدية • وأصبح عديد من عمليات الصنع والتوفيقات النهائية ممكنا بفضل الاكتشافات الكيميائية فحسب •

ان شيميكي زاقودي في زيلوزي قرب موسث هي المصنع الكيميائية المختلطة ذات الشان الاعظم في تشيكوسلوفاكيا • وهي تستفيد من الاحتياطيات الفنية من اللينيت من المناطق المجاورة كما ومن البترول السوفييتي الخام الآتي عن طريق اوليوديك • فالبترول الخام قد جعل بالامكان ولادة مجموعة من المعامل المختلطة البيتروكيمائية بالقرب من براتيسلافا في سلوفاكيا والاسمدة الصناعية التي توفر المردودات الكبيرة للزراعة التشيكوسلوفاكية تصنع من قبل بعض المعامل المختلطة الجديدة أو التي جرى تحديثها •وجميع معامل الانتاج ومعالجة المواد البلاستيكية جديدة ، مثل المعامل الاخرى التي تحدد تنسيق الصناعة الكيميائية من أجل احتياجات السوق المحلية والاجنبية •

وتعد تشيكوسلوفاكيا بحق من بين أكبر القوى الصناعية العالمية ، وهذا ليس فقط بفضل الصناعات الميكانيكية والكيمياء •

تطور مستوى الحياة في تشيكوسلوفاكيا

نقصد بمستوى الحياة ايجاد الشروط الملائمة لتلبية حاجات المجتمع المادية والثقافية • فمما لا ريب فيه بها الصدد ان تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية قد حققت تقدما هاما خلال السنوات الثلاثين من وجودها •

ويجب ألا يغرب عن بالنا أيضا أننا لدى اجراء المقارنة مع بلدان العالم الاخرى لا يمكننا أن نأخذ بعين الاعتبار العوامل التي ليس بالامكان التعبير عنها بالارقام لكنها ليست اقل ارتباطا بالاستهلاك المادي للسكان وهي استبعاد البطالة والشعور بالاستقرار الاجتماعي وتوقعات المستقبل ، الخ ، وحيث أن المجتمع الدولي اهتماما بكل شخص منذ ولادته وحتى شيخوخته، فمن البديهي ان النظام الاشتراكي هو النظام الوحيد الذي يضمو هذه الميزات •

تعالوا قبل كل شيء ندرس الناحية المادية لمستوى الحياة ، أي الاستهلاك المادي • ففي عام ١٩٣٦ ،ارتفع استهلاك الحريرات بالنسبة للفرد الواحد في تشيكوسلوفاكيا الى ٢٥٤٥ حريرة ، وهو في الوقت الحاضر يقارب ٣١٠٠ حريرة • وعلاوة على ذلك ، فان توزيعه بين مختلف الطبقات الاجتماعية موحد أكثر بكثير مما كان في عهد الجمهورية الرأسمالية • وتصل هذه الكمية المرتفعة من الحريرات للفرد الواحد تقريبا الى مستوى كثير من البلدان الاخرى •

ونحن نسعى خلافا لذلك الى تحسين البنية الداخلية للاستهلاك بزيادة نسبة الاغذية من المصادر الحيوانية • ولا بد لنا من الحصول على زيادة متسارعة في استهلاك الحليب والبيض والشحوم النباتية ، ونقصان في نسبة الحبوب والسكر ، وزيادة سريعة في استهلاك الفواكه والخضار، وتوقيف لازدياد استهلاك المشروبات الكحولية • وهذا يعني أن الكميات المستهلكة عام ١٩٨٥ يجب أن تكون ٨٠ كغ تقريبا بالنسبة للحوم و ٢٠٤ كغ بالنسبة للحليب و ١٩٥ كغ بالنسبة للفواكه والخضار • وبهذه الارقام تتعلق مهام انتاجنا الزراعي في السنوات ١٩٧١ الى ١٩٧٥ • وبذلك سوف ينخفض نصيب المصاريف الخاصة بالاغذية في رقم الاعمال الاجمالي لتجارة المفرق وبنسبة ٤٩ ٪ الى ٤٥ ــ ٤٦ ٪ وهو يتطابق مع التطور في جميع البلدان الصناعية المتقدمة في العالم •

أما فيما يتعلق باستهلاك السلع الاستهلاكية الاساسية ، فهي أيضا مرتفعة نسبيا •

بالنسبة لاستهلاك الاحذية (٥ أزواج في السنة) للفرد الواحد ، تشغل تشيكوسلوفاكيا أحد مراكز الصدارة في العالم • وهذا واضح جدا من انتاج بلادنا ١٢٠ مليون زوج أحذية في كل عام •

والاستهلاك في بلادنا عظيم بالنسبة للتجهيزات المنزلية وهو ينمو بسرعة كبيرة جدا • وخاصة خلال هذه السنوات الاخيرة •

أما فيما يتعلق ببعض المواد ، فمن الواضح اننا نقترب من اليوم الذي يصبح فيه تجهيز المنازل ١٠٠ ٪ ونود أيضا فيما يتعلق بزيادة الدخل العائلي ان العاملين من السكان يعيرون اهتماما متزايدا بالسلع من النوعية الجيدة التي تتمتع بقيمة استعمال عالية وذات سعر غال . وذلك على الاخص بالنسبة للغسالات الآلية والسيارات الخاصة والشاليهات والتلفزيونات الملونة واجهزة الراديو الكبيرة والاثاث من النوعية الجيدة وصناديق التبريد والتجليد الخ .

وهنالك مشكلة ذات شأن خطير جدا هي مشكلة المساكن . ويمثل نقص المساكن في الوقت الحاضر واحدة من حالات التفاوت الرئيسية بالنسبة لمستوى حياة السكان . فعلى الرغم من أنه قد تم انشاء مليون ونصف مليون مسكن من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٧٠ ، فقد كان هنالك في نهاية عام ١٩٧٠ نقص لا يقل عن ٢٣٠٠٠٠ مسكن .

وقد أضيف الى الـ ٣٣٠٠٠٠ مسكن التي بنيت من ١٩٧١ الى ١٩٧٣ ١٢٨٠٠٠ مسكن بني في عام ١٩٧٤ . وقد لحظ المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ٥٠٠٠٠٠ مسكن ، وانجزت هذه المهمة في أربعة أعوام بنسبة ٩١ ٪ . ويمكن الافتراض أن المساكن المبنية خلال الخطة الخمسية ستبلغ على الاقل ٥٧٠٠٠٠ مسكن .

من العوامل التي تؤثر تأثيرا ملائما في مستوى حياة السكان ، نذكر الصفة الحديثة لنظام الصحة العامة بكامله ، والضمان الاجتماعي وضمان التقاعد .

وحتى عام ١٩٤٥ ، لم تكن العناية التي أوليت لصحة العمال قد تطورت الا على نحو مرض قليلا . وكان عدد الاسرة في المستشفيات غير كاف ، وكان هنالك نقص في التجهيزات ، وكان الاطباء ومساعدوهم قليلي العدد .

ان التغييرات الاجتماعية التي ظهرت في عام ١٩٤٨ قد خلقت الشروط للتطور الاشتراكي حتى في نطاق الصحة العامة . ومن المكتسبات الرئيسية للعمال حماية الصحة والمعالجة المجانية .

وندرك في ظل هذه الظروف ان حالة السكان الصحية تتحسن بنسبة تقدم تحسن الخدمات الصحية .

ويستفيد كل السكان من الضمان الاجتماعي الذي يتألف من جميع أنواع الاعانات والخدمات – كاعانات المرض والتعويضات العائلية والامومة ومعاشات العجز والشيخوخة والخدمات المقدمة للمرضى .

ويتلقى الاشخاص المسنون ذوو القدرات الجسدية أو الملكات العقلية القليلة العنايات اللازمة في المؤسسات الخاصة . وهنا أيضا ، تجري محاولة الغاء تراث الماضي عن طريق انشاء مؤسسات جديدة أو استبدال المباني العتيقة بمباني حديثة .

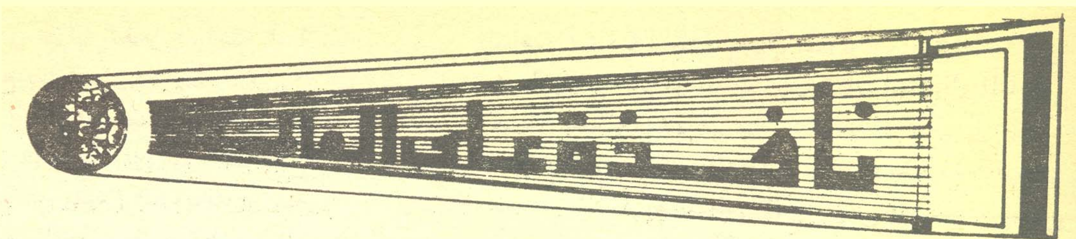
ويشكل تطور الثقافة بمعناه الاكبر واحدا من الشروط الاساسية للتطور الديناميكي للمجتمع الاشتراكي . وقد ازداد عدد بيوت الثقافة وقاعات السينما ومتاحف الفن والمسارح زيادة كبيرة منذ عام ١٩٤٥ . ومن الاهمية بمكان ذكر التطور الذي لا سابقة له للابداع الفني الشعبي والنشاط الادبي والموسيقي والدراسي . ونشر الكتب والجرائد والبث الاذاعي والتلفزيون والافلام .

ان جميع القيم الثقافية والتقدم في العلوم والتكنولوجيا متاحة من الان فصاعدا الى الجماهير الشعبية الواسعة .

تمثل السنة الاخيرة من الخطة الخمسية الخامسة أيضا نقطة انطلاق للخطة الخمسية السادسة . وتشهد الاعمال الجارية بشكل متزايد ان الشروط الجديدة نوعيا والاكثر صرامة هي التي ستتسم بها هذه الفترة . ان التضخم وارتفاع الاسعار في الاسواق الرأسمالية الذي لم يعرف حتى الان منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يميز وضعا معدلا . ونحن نساعد في نفس الوقت على تغيير في العلاقة بين تطور أسعار المواد الاولية والمحروقات من جهة وبين المنتجات المنتهية من جهة ثانية .

ومن الجلي ان هذه الاتجاهات ستطول مدتها وسيكون من الضروري أخذها بعين الاعتبار أثناء تهيئة الخطة الخمسية السادسة . وليست مهمتنا سهلة ، فمن الاهمية بمكان اعداد مبادىء توجيهية للخطة الخمسية السادسة تضمن بالرغم من المتبدل تبدلا عميقا ازديادا مستمرا في الانتاج والاستفادة من جميع الموارد بقصد رفع مستوى حياة السكان . ولا بد لهذا الادراك للتطور الاقتصادي ان يعتمد بالضرورة على رفع كفاية جميع العلاقات الاقتصادية ، كما أن من الاهمية بمكان أيضا دراسة وتحقيق امكانية رفع ايجاد الموارد والاقتصاديات القصوى المتحققة في الاستفادة منها .

عقب الظروف المعدلة ، سيكون من الممكن على الاخص البحث عن حل لتوسيع التعاون الاقتصادي مع البلدان الاشتراكية والمساهمة المنهجية للاقتصاد الوطني التشيكوسلوفاكي في انجازات البرنامج المعقد للتكامل الاقتصادي الاشتراكي . وفي الوقت نفسه ، سنسعى الى الاستفادة من العلاقات الاقتصادية المفيدة تبادلنا مع البلدان الرأسمالية والقابلة للمساهمة في التطوير المقبل لاقتصاد بلادنا الوطني .



انتهى الاديب محمد قرانيا من تاليف كتاب عن الادب الاسلامي الحديث . وقد تناول فيه دراسة نتاج الاديب محمد محمود الحسناوي في الشعر والقصة والدراسة الادبية . والجدير بالذكر أن الشاعر الحسناوي هو مؤلف كتاب (الفاصلة في القرآن) الذي يتعرض فيه لموسيقا القرآن الكريم ويكشف عن الصلة بينها وبين شعر الموشحات الاندلسية وشعر التفعيلة / الحديث / الامر الذي يتوجب معه اعادة النظر في نقدنا العربي الحديث . وظهور نظريات جديدة في الشعر ...

■ « أناشيد الفقراء » مجموعة شعرية ، هي أول انتاج للشاعر حسين هاشم ، صدرت عن مطبعة الرشيد في الرقة . صور فيها الشاعر معاناته الخاصة وأحلامه والامه ، التي يستمدها من معاناة الفقراء والامهم وأحلامهم ، فتنازعت نفسه صراعات حادة ، استطاع الشاعر أن ينقلها للناس .

يطرح الشاعر على نفسه سؤالا هو : لماذا نكتب ، ولمن نكتب ؟ .. ويجيب عليه شعره ، بأنه التزم قضية عاشها في وطنه كثير من الفقراء المسحوقين ...

. صدر في سلسة «كتاب اليوم » كتاب جديد لسعد شعبان ، عنوانه «عصر الفضاء» وقد حوى الكتاب كثيراً من المعلومات الدقيقة عن الفضاء وحياة رواده وعن ثورة التكنولوجيا .

هدف المؤلف الى احياء دعوة تذكرنا أننا موجودون لاننا نفكر، وانه يجب أن نرفع هذا الشعار، لنتمتع بنعمة العلم في عصر الفضاء ، ولنخرج ، بعض الوقت ، من نطاق حياتنا الضيق ، مشكلاتنا اليومية ، ونتأمل حقيقة هذه الدنيا العجيبة ، بخيال علمي ، لااثر فيه للظن ، .

■ « الميت الحي » مسرحية جديدة صدرت في القاهرة للكاتب سعد مكاوي ، عالج فيها لغز الموت والرغبة في العودة الى الحياة ، وقد شغلا الانسان منذ القديم ، فلسفيا وعلميا تتعرض المسرحية لتجربة صيدلي يعيد الحياة الى الموتى ، فيفلح باعادة زوج ابنته الميت الى الحياة فيعيش صورة من غير روح ، ويأتي من الافعال مايجرده من الانسانية ، وكان المؤلف يريد أن يقول في مسرحيته : ان الموت بيد الله ولا سبيل الى مقاومته ، وحتى اذا بقي الجسد ، فالروح ذاهبة .

□ قرر نادي جدة الادبي ، اعادة طبع كتاب « فريسة أبي ماضي » للاستاذ روكس بن زائد العزيزي ، الذي كشف فيه أصول قصيدة « الطين » للشاعر العربي الراحل – ايليا ابي ماضي – وقد ضمت الى هذه الطبعة اقساما كانت قد عبثت بها احدى المطابع في عام ١٩٥٦ ، أحدث الكتاب في حينه ، ضجة كبيرة في المخافل الادبية في الوطن والمهجر ، ونشرت عنه فصول في مجلات : السائح والسمير والاديب وبيت لحم والمنهل وصوت الشرق والحكمة . وغيرها .

■ « روبسبير » اخر ما صدر في سلسلة – المسرح العالمي – التي تصدرها وزارة الاعلام في الكويت ، من تاليف (رومان رولان) ترجمها الى العربية الاستاذ عبد المسيح ستيتي ، وتدور حوادثها في عام ١٧٩٤ بعيد الثورة الفرنسية .

تعتبر هذه المسرحية عملا أدبيا يمتاز بلغة جميلة سلسلة موسيقية ، فيها كل ما يغري بقرائتها ، أكثر منه عملا دراميا ، ولهذا لم تجتذب أحدا من مديري المسارح والمخرجين لاخراجها على خشبة المسرح .

■ « كتابات ٧٦ » مطبوعة ثقافية فصلية ، تصدر في البحرين ، لتكون منبرا للانتاج الادبي والفني ، صدر منها العدد الاول . ويضم مقالات في النقد المسرحي والسينمائي، وأخرى عن النقد الادبي ، ومقابلات مع شاعرين ، هما : العريض ومنير بشير ، كما يضم قصصا وقصائد شعرية متنوعة ، وملفا خاصا بأدب الاطفال .

لم يكن العدد الاول في المستوى المطلوب ، ولعله يكون مقدمة لانتاج أدبي أكثر جودة وحسنا .

■ مجلة « اليمن الجديد » خصصت ملفا من عددها الاخير ، للشاعر اليماني الشهيد محمد محمود الزبيري ، بمناسبة مرور عشر سنوات على استشهاده ، اشتمل الملف على دراسات لحياة الشاعر الراحل ، والدور الوطني الكبير الذي لعبه ، وأخرى لشعره والحركة الادبية التي كان الزبيري أحد روادها .

ناضل الشاعر في سبيل وطنه ، فسجن ونفي وحكم عليه بالاعدام في عهد الامام ، وعاش فترة في القاهرة ، وعاد الى اليمن بعد ثورة ١٩٦٣ ، فتولى وزارة التربية ، ثم نائبا لرئيس مجلس الوزراء ، حتى استشهد في عام ١٩٦٥ .

للشاعر ديوان ، وكتب سياسية وأدبية ، منها « ثورة الشعر » ورواية وحيدة هي « مأساة واق واق » .

● صدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق ، الديوان الاول للشاعر مروان صقر ، تميز قصائد الديوان بالمعاناة الجادة للمعضلات التي يعيشها الانسان العربي في العصر الحديث ، وبالرؤى الشفافة النابعة من جذور تجربته الذاتية ٠

● عن اتحاد الكتاب العرب ، صدرت مجموعة قصصية لمظفر سلطان ، عنوانها « في انتظار المصير » تضم أحد عشرة قصة قصيرة يبدو أن المؤلف كتبها منذ أمد بعيد ، فهي مألوفة ، وليس فيها تجديد ، بالرغم مما تملكه من عناصر التشويق ،

● « الرقص فوق الاسطحة » مجموعة قصصية لمؤلفها نبيل جديد ، صدرت في دمشق ، تمتاز هذه القصص بالواقعية ، فأشخاصها أناس من واقع المجتمع، بسطاء لهم همومهم ومشاكلهم ، ونظراتهم الى الحياة والحب والكره ٠

● يبدي معهد التراث العلمي العربي نشاطا ملحوظا فقد قام باصدار عدد من الكتب العلمية القديمة وفهارس بالمخطوطات العلمية الموجودة في مكتبات حلب ، ويعكف اليوم على طباعة ستين بحثا علميا لستين عالما توافدوا الى حلب وألقوا بحوثهم في المعهد ٠ وسيصدر نشرة في كل شهرين ، باسم « رسالة من معهد التراث العلمي العربي » ، ترصد نشاط المعهد وتعرف به ، كما تعرف بنشاطات المعاهد الاخرى في العالم ، التي تهتم بالتراث العربي والاسلامي ٠

« الذي مر على مدينة » مجموعة قصصية ، صدرت في مصر العربية ، للكاتب محمد عوض عبد العال ، تضم تسع قصص قصيرة ، بعضها سبق نشره وبعضها لم ينشر من قبل ٠ للكاتب رواية بعنوان « سكر مر » صدرت منذ سنوات ٠

● توفي أخيرا في لينينغراد المستشرق فيكتور بيليايف، الذي كان واحدا من مؤسسي مدرسة الاستعراب في لينينغراد ٠ وكرس حياته لدراسة شعر القرون الوسطى والمخطوطات العربية ٠

ومن أعماله : بحث بعنوان » المخطوطات العربية اليمنية في طشقند ، نشره في عام ١٩٤٧ ، وفي عام ٩٦١ وضع مجموعة « النثر العربي « ضمت أعمال جبران والريحاني ومحمد ومحمود تيمور ٠ ووفاء منه لاستاذه وصديقه المستشرق « كراتشكوفسكي » كبير المستشرقين السوفيات ، فقد أصدر في ستة مجلدات « المؤلفات المختارة » وهي مجموعة أعمال أستاذه ٠

انتخب عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وساهم في مؤتمرين عقدهما علماء الاستشراق في ميونيخ وموسكو ، وفي المؤتمر الاول لدراسة المصادر الشرقية في تاريخ أوروبا الشرقية والوسطى ٠

● صدر للدكتور عز الدين اسماعيل كتاب جديد بعنوان « الشعر في اطار العصر الثوري » تناول فيه خمس قضايا ، وأفرد لكل قضية فصلا ٠ ففي الفصل الاول تناول « الشعر والالتزام » ويرى فيه ان خير التزام ، هو التآلف بين الفن والايديولوجية ، وفي الثاني « الشعر في مرحلة التغيير الثوري » حاول فيه ايضاح موقف الشعر المعاصر ٠ وفي الثالث « ثورية الشعر » ويجد فيه أن ثمة ارتباطا نوعيا خاصا بين العمل الشعري والعمل الثوري ، وفي الرابع « مواكبة الشعر للثورة » يرى فيه أن شعر المقاومة الفلسطينية في الارض المحتلة شعر احتجاج ودفاع عن الحرية المغتصبة ، أما في الخامس فقد بحث « الشعر وقضايا النضال » حاول فيه التعرف على وحدة التشابه في أدب القارتين : آسيا وافريقيا ٠٠

● « الحركة النقدية في أيام ابن رشيق » هي رسالة تقدم بها بشير خلدون الى جامعة الجزائر ، ونال الدكتوراه ، أثبت فيها أن حركة أدبية نقدية متكاملة ظهرت في المغرب العربي ، أيام ابن رشيق لا تقل مكانة عن تلك التي ظهرت في المشرق العربي ٠ ويرى فيها المؤلف أن ابن رشيق تأثر باستاذه عبد الكريم التهشي دون أن يؤثر ذلك في شخصيته الادبية ومكانته النقدية ٠

● « قريتنا عادت تقاتل » مجموعة قصصية ، صدرت في الارض المحتلة لاحمد حسين نمر ، تضم ثماني قصص ، سبق للكاتب الفلسطيني أن أصدر مجموعة قصصية عنوانها « في حقلنا الاشواك تكبر » ومسرحية هي « في انتظار المطر » ٠

● وعن منشورات صلاح الدين في القدس ، صدرت مجموعة شعرية للشاعر محمد عوض عباس عنوانها « أنغام ذات ايقاع حاد » ٠

● في باريس، نشرت دراسة للفيلسوف الفرنسي « ميشيل هنري » حول فلسفة ماركس ، حاول فيها تحليل الابعاد الحقيقية للفكر الماركسي ، وقد أتى بفكرة جديدة ، أي أن الرؤية الماركسية ليست سياسية ولا اجتماعية ولا اقتصادية ، لكنها فكرة فلسفية ترتكز على فلسفة تطوير نظرية الاسس التاريخية والاجتماعية والاقتصادية ٠

تقع هذه الدراسة في جزئين ، عنوان الاول «فلسفة الواقع » ، والثاني « فلسفة الاقتصاد » ، ويرى فيه أن الطبقات الاجتماعية عند ماركس نتائج ، وليست أسبابا في حد ذاتها ، لانها انتاج يفسره تقسيم العمل٠